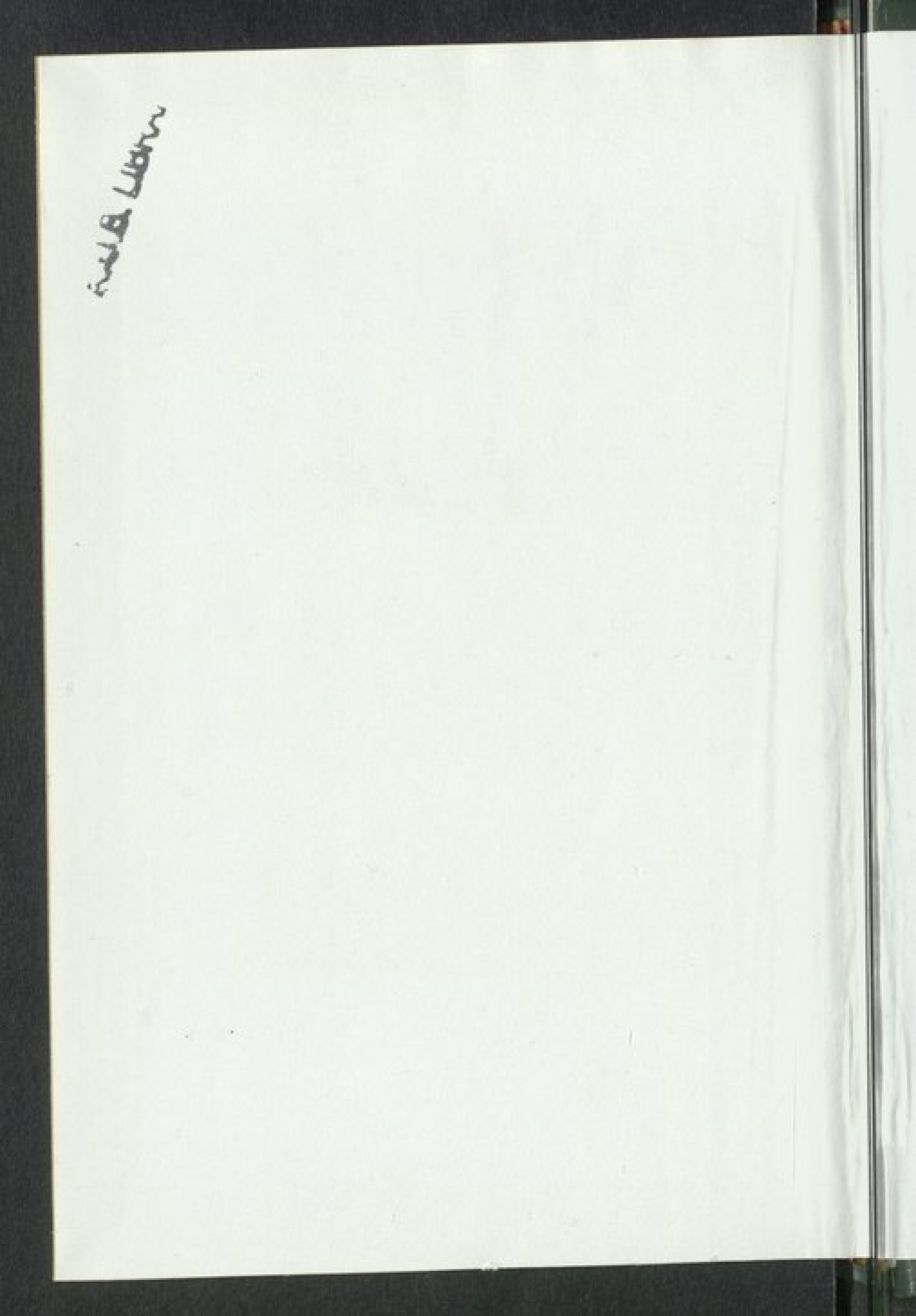
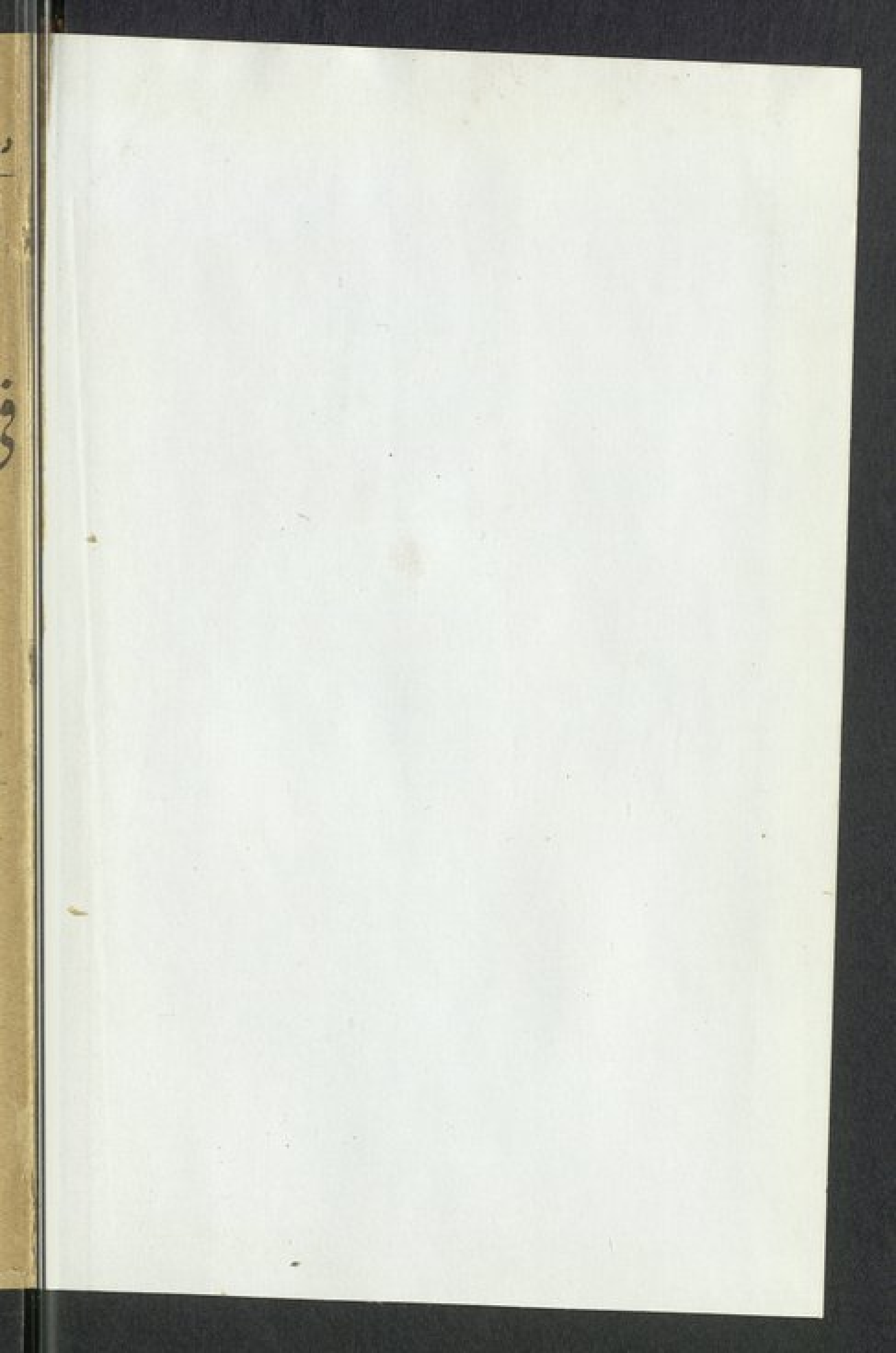



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

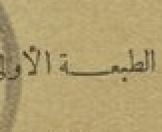




دراسات استراتيجية

الأستراتيجية في الحرب الأهلية الأمريكية

بقلم البوزباشي
كمال الدين الحناوي
مدرسة المشاة



الطبعة الأولى

١٩٥٠

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

مطبعة الشبكشي بالأزهر بمصر

صدر هذا الكتاب بموافقة رئاسة هيئة أركان حرب الجيش
(إدارة التدريب الحربي) بكتابها رقم ت/١٦/٣/٢٨ بتاريخ
٥/١/١٩٥٠ وموافقة إدارة المخابرات الحربية (قسم الأمن) رقم
١/٢/٩١١ بتاريخ ١٢/١٢/١٩٤٩

مقدمة

تهيء الحرب الأهلية الأمريكية فرصة ممتازة لدراسة المبادىء الاستراتيجية الأساسية فهى أول حرب شاملة فى التاريخ ، وقد أخذت صبغة الحرب الأهلية المحلية فى أول الأمر ، ثم تطورت واتسعت حتى شملت جميع موارد الولايات المتحدة فى الشمال والجنوب على السواء ، وقد اشترك فى هذه الحرب الشاملة مئات الألوف من المحاربين الأشداء .

والحرب الأهلية الأمريكية حافلة بالدروس ، فمبادىء الحرب تطبق فى بعض المعارك تطبيقاً رائعاً ، وتهمل فى البعض الآخر إهمالا مشيناً ، كما تتضح فى كثير من المعارك الأهمية الحيوية للشئون الإدارية وهى من العوامل الأساسية التى تؤدى إلى النجاح فى المعركة أو الفشل فيها .

ولقد ظهرت خلال هذه الحرب الطاحنة ، أهمية التعاون بين القوات البحرية والبرية ، خلال الحصار الذى ضربه الشماليون على سواحل الجنوب ، وخلال المعارك التى اشتركت فيها البحرية فى ضرب القلاع والحصون ، ونقل القوات إلى ميدان المعركة .

وكانت الحرب الأهلية أيضاً حقلا لتجارب رجال الحرب ، لأنها بدأت بأبسط الأسلحة المستخدمة فى الحروب وهى البندقية ، فكان

استخدام رصاصها فاتحة عصر تكتيكى جديد ، ثم طفرت بالأسلحة المستخدمة طفرة واسعة ، أحالت تلك البذرة الضئيلة ـ رصاصة البندقية ـ إلى شجرة فارعة ، مختلفة الثمار ، ولكن فى ثمارها الموت والدمار . . .

أما البندقية فقد استخدمت فى الدفاع استخداماً جيداً ، أعطاه أقوى صور الحرب ، ولكن التغيير الأساسى الذى حدث أيضاً ، هو اختفاء السونكى ، الذى كان استخدامه فى الاقتحام عملية ناجحة ، قبل أن يستخدم رصاص البنادق ، ولقد تسبب إهمال استخدام السونكى فى فشل ٨٠ ٪ من آلاف الاقتحامات ، التى حدثت خلال الحرب الأهلية الأمريكية ، بين عامى ١٨٦١ ، ١٨٦٥ .

وقد استخدمت فى هذه الحرب العجيبة ، شتى أنواع الأسلحة ، من الهاونات والقنابل اليدوية ، والقنابل المجنحة والصواريخ ، والأشراك الخداعية ومصايد المغفلين ، واخترع مدفع الماكينة « ركوا » والبندقية ذات الخزنة ، واستخدمت المناطيد والبالونات فى الاستطلاع من الجانبين ، ، كما استخدم الرصاص شديد الانفجار ، بل لقد طلب أحد القادة من إدارة الأسلحة والمهمات ، قنابل تنتج غازات ذات تأثير خانق . . . ؟

وقد عرف العالم فى هذه الحرب ، السفن المدرعة ، والقطارات المسلحة ، والألغام الأرضية والطوربيد ، والتأشير بالبيارق والمصابيح ،

وتلغراف الميدان ، بل لقد بنيت أول غواصة عام ١٨٦٤ ، وقد أغرقت السفينة هوساتونيك خارج ميناء شارلستون فى أوائل فبراير من ذلك العام ، ولكنها غرقت معها ، أما قاذفات اللهب فقد اخترعت أيضاً فى نوفمبر عام ١٨٦٤ .

ولقد كتب عن الحرب الأهلية الأمريكية ما ينوف على الثلاثة آلاف بحث ، بين كتب بلغت عدداً من المجلدات ، وبين بحوث قصيرة ومقالات ، تناولت هذه الحرب وما نتج عنها من الآثار السياسية والاجتماعية ، التى قلبت وجه الحياة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن ما يعنينا من دراستها هو الناحية الاستراتيجية .

والواقع أن من تعرضوا للحرب الأهلية فريقان : فريق متعصب للشمال وقادته وقضيته ، وفريق متعصب للجنوب وأصله العريق وقادته العباقرة ، وكلا الفريقين متحيز فى كتابته ، غير برىء فى نقده ، ولا يزال هذا التعصب باقياً ، حتى فى كتابات المحدثين من الجنوبيين ، أمثال Barron Deaderick فى كتابه الأخير Strategy in the Civil War أما كتاب هندرسون Stonewall Jackson ، فيقول فيه الناقد العبقرى المحايد ، الميجور جنرال فولر «إن البحث التاريخى هدانى إلى أن ذاك الكتاب الشعبى خيالى إلى حد بعيد ، فهو مسل حقاً ، وهو تعليمى حقاً ، ولكنه لا يعتمد عليه كمصدر تاريخى» .

وقد اعتمدت على كتابات الميجور جنرال فولر ، كأساس لمادة الكتاب ، ولم ألجأ إلى بقية المراجع إلا للحصول على بعض الحقائق التي لا خلاف عليها ، والمقطوع بصحتها ، وقد تحرينا أن نضع تحت اسم كل من قادة الجنوب خطاً ، تمييزاً لهم من قادة الشمال حتى يسهل على القارىء أن يتتبع تحليل المعارك والتعليق عليها .

وأملي أن يأتي هذا الكتاب بالفائدة المرجوة ، وأن أكون بذلك ، قد أديت واجباً مقدساً نحو مصر الخالدة ، وجيشها الناهض ، في ظل قائده الأعلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، حفظه الله ذخراً لوادي النيل ، ورفع الجيش في ظل رعايته ، حتى يحتل المكان اللائق به بين جيوش العالم ؟

كمال الدين الحناوي

البَابُ الأَوَّلُ

تمهيد

الفصل الأول

أسباب الحرب

الأسباب الخفية :

فى خلال شتاء عام ١٨٦٠ - ١٨٦١ ، أصبح من المؤكد أن ينشب نزاع ، بين الولايات التى تبيح الرق ، والولايات التى لا تبيحه ، أو بمعنى آخر بين الشمال والجنوب .

وكان نظام الرقيق معترفاً به فى خمسة عشر ولاية من الولايات المتحدة ، ولكنه قد ألغى فى الولايات الشمالية منذ زمان طويل ، فلم يؤثر هذا على بقائه فى الجنوب .

وكان لكل ولاية استقلالها الذاتى ، ولها تقاليدها وقوانينها الخاصة ، وقواتها المساحة المعروفة بالمليشيا ، كما أن لكل ولاية ميزانيتها وماليتها الخاصة بها ، وكانت كل ولاية تمارس سيادتها فى رضى وأمن ، وكان الرق على كل حال أمراً قانونياً معترفاً به فى الدستور ، ولكل ولاية أن تلغيه أو تبقيه كما تشاء ، ولم يكن لحكومة الولايات المتحدة أى سلطان على هذا الأمر ، وكان الرأى الغالب فى الجنوب أن الرق شر

لا بد منه ، وأن من يرغب فى إقامة صرح الولايات المتحدة على أساس متين ، ينبغى أن يترك عواطفه جانبا .

ومزارعو الجنوب كانوا يعتقدون بأن عيشة الرقيق خير معيشة للافريقيين ، ويرون أن منح الرقيق حريته طريقة غير عملية على الاطلاق ، وأن مثل هذه الحرية كفيلة بجلب الخراب على الجنوب ، فالقطن والتبغ هى المحاصيل الرئيسية عندهم ، وهى تتطلب الكثير من الأيدى العاملة ، ورأس مال المزارع يتركز فى الأيدى العاملة من الرقيق ، وتحريرهم سيذهب برأس المال عن آخره ، فيصبح كأن لم يكن .

أما فكرة تعويض مزارعى الجنوب تعويضاً مالياً ، كما فعلت بريطانيا فى كل من جمايكا وجنوب أفريقيا ، فقد كانت أمراً بعيداً عن التفكير ، فانه يكلف الحكومة قرابة أربعمائة مليون من الجنيهات ، ثم يبق بعد ذلك التعويض شك فى إمكان دفع الخراب عن المزارعين ، فان إنتاج الزنجى الحر أقل من انتاج الرقيق بشكل ملحوظ ، ومعنى ذلك أيضاً أن المزارعين سيخسرون كثيراً فى السنوات التالية للتحرير .

وفى خريف ١٨٦٠ أقبلت انتخابات الرياسة ، وفاز فيها الجمهوريون وكان أن انتخب ابراهام لنكولن للرياسة ، وعلى أثر هذه النتيجة انفصلت كارولينا الجنوبية عن الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم تبعتها

كل من ميسيسبي ، وآلاباما ، وفلوريدا ، وچورچيا ، ولويزيانا ، وتكساس
ثم كونت لنفسها حكومة إقليمية برياسة الرئيس جيفرسون ديڤيز ،
ومركزها مونتجومرى فى ولاية آلاباما ، وقد أعلن ديڤيز قيام الجمهورية
الجنوبية باسم الولايات المتحالفة الأمريكية .

وقد يبدو غريبا أن تنفصل ولاية بل ولايات عن الاتحاد ، لمجرد
تغيير رئيس الولايات المتحدة أو تغيير الحكومة القائمة ، ولكن
الولايات التى انفصلت كانت تعلم اتجاهات الرئيس الجديد ، ورغبته
فى تحرير العبيد ، بلا قيد ولا شرط ، وكانت تقدر نتائج هذا التحرير
وتلك المساواة مع السادة السابقين فقد كان الرقيق يفوق البيض عدداً ،
فى كثير من نواحى الجنوب ، ومعنى ذلك أن الادارة ستؤول إليهم ،
وبذلك يصبح المزارعون تحت رحمة عبيدهم السابقين . . .

ذلك هو السبب العام للحرب الأهلية الأمريكية ، وسنحاول
فيما يلى تعمق الأسباب الخفية التى دفعت إلى هذه الحرب الشاملة :

١ — أول أسبابها هو الصراع المحتوم ، بين مجتمعين على طرفى
نقيض ، مجتمع زراعى جامد قديم ، موشك على الفناء ، ومجتمع صناعى
حديث ، دائب الحركة والنماء .

فقد كان يعيش فى الجنوب شعب زراعى إقطاعى ، يتكون من

سادة وعبيد ، لا يعتمد فى إنتاجه على قوته ، وإنما يعتمد على الرقيق ، وتسيطر عليه روح الفروسية والتقاليد العسكرية ، شعب مترف تسيطر عليه الروح الفنية والدينية ، وبالاختصار كان يعيش مع الماضى ، فى جو القرن الثامن عشر .

أما فى الشمال ، فقد كان هناك شعب صناعى نشيط ، كان خليطا من أجناس مختلفة ، ولكن تؤلف بين أفراده العزيمة القوية ، ويهدف إلى المساواة والديمقراطية ، كان شعبا عمليا واقعيا ، يبحث عن الخير العام ، كان يحيا للمستقبل ، ويعيش فى جو القرن التاسع عشر .

٢ — أما السبب الثانى فهو اختلاف مناهج التفكير ، بين الشمال والجنوب ، فقد كان الشمال ذو التفكير الاقتصادى ، يريد توحيد أميركا كلها ، أما الجنوب فكان يفضل النفع الخاص ، والحرية الشخصية ، على النفع العام ، هذا بالإضافة إلى أن الجنوب ظل يحكم الشمال زمنا طويلا .

٣ — وكان قطن الجنوب وتبغه يغمران أسواق أوربا ، ومن صالح الجنوب أن يطبق مبدأ حرية التجارة ، ولكن غزالى نيوانجلند الشماليين ، استطاعوا بتأثيرهم على حكومة الولايات المتحدة ، أن يفرضوا على الواردات ضرائب جديدة ، لوقاية صناعاتهم من المنافسة الأجنبية ،

و بذلك أصبح على مزارعى الجنوب وهم مستهلكون أن يدفعوا ضرائب كبيرة ، لحماية الصناعات فى الشمال ، ومعنى ذلك أن الجنوب الفقير كان مضطرا أن يدفع ضرائب باهظة ، ليحافظ على كيان الشمال الغنى .

٤ — كانت مصالح العمل على كثير من التناقض ، فقد كانت المنافسة بين عمل الرقيق وعمـل الأحرار ، وهما متجاوران فى قارة واحدة ، كفيلة بخلق نزاع عاجلا أم آجلا .

٥ — ولسوء الحظ أن عاملا آخر ، ليس سياسيا بحتا ، كان يحدث أثره ، فقد كانت مناطق الرقيق منفصلة عن مناطق الأحرار ، بحدود صناعية هى : « خط ماسون وديكسون » وهو خط الحدود بين بنسلفانيا فى الشمال ، وفرجينيا وماريلاند فى الجنوب ، وكان هذا الخط يقسم الولايات المتحـدة الأميركية إلى قسمين ، وقد أدى هذا التقسيم بالتدريج إلى أن يعتبر كل قسم نفسه شعباً مختلفا عن الآخر ، وقد تعاونت الأسباب التى سبق ذكرها ، على أن توسع الشقة بين الشمال والجنوب ، حتى أن الروابط الاجتماعية والتجارية ، أصبحت لا تزيد على العلاقات بين شعبين أجنبيين ، وأصبح كل منهما لا يذكر لجاره إلا المساوىء والعيوب .

تلك هى الأسباب الخفية للحرب الأهلية الأمريكية ، وإن كان السبب المباشر لها هو الحادث التالى :

الأسباب الظاهرة :

فى الأيام الأولى من مارس ١٨٦١ ، ألقى الرئيس لنكولن خطابا أكد فيه عدم تدخل حكومة الاتحاد ، فى شئون الولايات الداخلية ، ودعا أنصار السلام ، إلى عقد مؤتمر فى واشنجطن ، تمثل فيه كل ولاية بمندوبيها ، وفى خلال المفاوضات الدائرة ، حدثت احتكاكات بين أنصار الاتحاد وأنصار الانفصال .

وكان أنصار الاتحاد قد رفعوا علم الولايات المتحدة فى الشارع الرئيسى فى لكسنجتون ، فما كان من طلبة المدرسة الحربية إلا أن أطلقوا عليه النيران ، وأحلوا محله علم الولاية ، وجعلوا عليه حرسا ، وفى صباح اليوم التالى ، تواردت الأنباء إلى المدرسة ، بأن سرية من المليشيا قد أبعدت الحرس ، وأنها بسبيل رفع علم الاتحاد مرة أخرى ، وقد صادف ذلك اليوم يوم عطلة ، والضباط فى الراحة ، فدقت الطبول تدعو لحمل السلاح ، فتجمع الطلبة المتحمسون ، وحملوا أسلحتهم ، ووزعت عليهم الذخيرة ، وتحركت الكتيبة بأكملها بقيادة الطلبة الضباط ، لتدفع بسرية المليشيا بعيدا ، وكادت تقع مذبحة ، لولا أن قائد المدرسة قابل الطابور ، وأعادهم إلى ثكناتهم .

وكان طبيعيا أن تمزق أعلام الاتحاد فى جميع أنحاء فرجينيا ، ولم

تتأخر الأزمة كثيرا ، فقد احتلت قوات الاتحاد قلعة فورت سومتر ، في ميناء شارلستون ، وهو ميناء كارولينا الجنوبية ، فما كان من الولاية إلا أن طالبت بتسليم القلعة إليها ، ولكنها لم تتلق ردا من لنكولن .

وفى ٨ إبريل تلقى حاكم الولاية رسالة ، تنبئه بأن القوات التى تحتل فورت سومتر ، ستتلقى مددا ، فأبرقت هذه الرسالة إلى مونتجومرى ، عاصمة الحلف الجنوبى ، فطلبت الحكومة إخلاء القلعة وإلا ضربت بنيران المدفعية .

وفى صبيحة ١٢ إبريل ، فتحت بطاريات الجنوبيين نيرانها على القلعة ، وفى اليوم التالى ، عندما بدأت النيران تأتى على الأبواب ، أنزل علم الاتحاد عن القلعة ، وانتقلت إلى ملكية الولاية .

وبعد ذلك بيومين ، أصدر لنكولن أمره بدعوة ٧٥٠٠٠ من المليشيا ، لإخماد الثورة مؤيداً من الجمهوريين والديموقراطيين على السواء فإن إهانة علم الاتحاد ، جعلت الدماء تغلى فى الرؤوس .

وقد حذت فرجينيا حذو كارولينا الجنوبية ، فانفصلت وانحازت إلى جانبها فى ١٧ إبريل ، ثم تبعتها اركنساس وتنيسى ، وكارولينا الشمالية .

وهكذا بدأت الحرب الأهلية الأمريكية التى استمرت بين عامى ١٨٦١–١٨٦٥ .

الفصل الثانى

مسرح العمليات

تقسم سلسلة بلوريدج فرجينيا والاتحاد إلى قسمين ، وهذه السلسلة من الجبال طولها ٣٣٠ ميلا ، وترتفع فى كارولينا الشمالية ، ثم تتخذ أسماء مختلفة فى ماريلاند ، وبنسلفانيا ونيويورك ، وفيرمونت ، ثم تنخفض حتى تساوى سطح الأرض عند الحدود الكندية .

ويتراوح ارتفاع هذه السلسلة بين ٢٠٠ ، ٦٠٠٠ قدم ، وتكسوها غابات كثيفة ، ولا يمكن عبورها فى فرجينيا الا عن طريق الثغرات (الممرات) ، التى يمر من خلالها ثلاثة خطوط حديدية ، وبعض الطرق البرية ، وهذه الممرات ذات أهمية استراتيجية بالغة ، لأنها لو أمنت ، فان أى جيش شمالى ، متقدم فى وادى شناندوه ، سيجد أمامه طريق تقدم مستور ، فى اتجاه سكة حديد فرجينيا وتنيسى ، وهى تربط بين ريتشموند فى الشرق والميسيسبي فى الغرب ، هذا بالاضافة إلى أن الوادى غنى بالمحاصيل الزراعية على امتداده من لكسنجتون إلى هاربرز فيرى ، ويتراوح عرضه بين أربعة أميال وعشرين ميلا ، لأن جبال أليجانى تحده من الغرب ، وتعتمد فرجينيا لا ريتشموند وحدها

على الوادى فى تموينها بالحبوب ، فلوحدث أن احتل الشماليون الوادى ، فإن شمال غرب ڤرجينيا ، سينقطع عن الخلف ، وبذلك يفقد مجندى تلك المنطقة من المحاربين الجبليين الشجعان .

ولذلك كان يجب الاحتفاظ بالوادى ، وتأمينه لحماية السكك الحديدية ، وتموين الجيوش ، وتعتبر ونشستر مفتاح المواصلات مع الشمال الغربى ، وهى أكبر مدينة فى وادى شناندوه الأدنى ، وتقع على بعد ستةوعشرين ميلاجنوب غربى هارپرز فيرى ، ومن ونشستر يمتدطريقان إلى الغرب ، عن طريق رومنى ومورفيلد ، وأربعة طرق تؤدى إلى الشرق والجنوب الشرقى ، مخترقة سلسلة بلوريدج ، عن طريق ثغرات سنيكر ، وآشبى ، وماناساس ، وشستر ، وينبغى أن يكون هدف الجنوبيين فى هارپرز فيرى وقاية هذه الطرق أولا .

وبما أن الجنوب كان متخذاً موقف الدفاع ، بحكم السياسة والظروف فقد كان على قادة الجنوب وفى طليعتهم الرئيس ديڤيز ، أن يدركوا أن الجبهة الاستراتيجية بالنسبة لهم ، تبدأ من پوتوماك قرب واشنجطن ، وتمتد مع جبال أليجانى ، حتى شطانوجا ، ثم على امتداد نهر التنيسى إلى قرب سڤانا ثم إلى فولتون على الميسيسبى ، ثم إلى ليتل روك على نهر اركنساس .

لو فعل قادة الجنوب ذلك ، وقدروا أن ولايات كنتوكي وتنيسى

وميسورى ، يجب أن تعتبر مواقع أمامية ، أو نقطا دفاعية خارجية ، أمام خط الدفاع الاستراتيجى الأصلى ، إذن لكانت استراتيجيتهم تقوم على أساس جد متين .

وإلى الجنوب من تلك الجبهة الاستراتيجية ، كان يمتد خطان حديديان رئيسيان متوازيان ، أحدهما من ريتشموند إلى ممفيس عن طريق شطانوجا ، والثانى من ريتشموند إلى فيكسبورج عن طريق برانشفيل وأطلانطا ، وكلاهما متقاطع مع خطوط أخرى فرعية ، تجرى من موانى ولمنجتون وشارلستون وسفانا ، وپنسا كولا وموبيل ونيوأورليانز ، ولا شك أن صيانة تلك الخطوط وتأمين تلك الموانى يعتبر أمراً حيوياً بالنسبة للجنوب لسببين :

١ — استخدامها فى نقل القوات من الشرق إلى الغرب و بالعكس .

٢ — الاحتفاظ بالاتصال مع أوربا .

ورقعة الحاف الجنوبى كما هو واضح من الخريطة واسعة مترامية ، فالساحل الذى تغسله مياه خليج المكسيك ، يبعد ثمانمائة ميل جنوبى هاربرز فيرى الواقعة على نهر الپوتوماك ، بينما الريوجراند ، وهى الحدود النهرية لولاية تكساس ، تبعد ١٧٠٠ ميل غربى شارلستون الواقعة على الأطلنطى ، وفى هذه المساحات الشاسعة ، لا تجرى الا ستة خطوط متصلة من السكك الحديدية :

من البوتوماك

١ — من واشنجطون إلى نيو أورليانز ماراً بريتشموند وليشبورج وشطانوجا وممفيس .

٢ — من واشنجطون إلى نيو أورليانز ماراً بريتشموند وولدون وجرينزبورو وكولومبيا وأطلانطا .

وهذان الخطان يربطان ريتشموند بالميسيسبي .

من أوهيو

٣ — من القاهرة إلى نيو أورليانز ماراً بممفيس .

٤ — من القاهرة إلى موبيل ماراً بكورينث .

٥ — من لويسفيل إلى موبيل ماراً بناشفيل ودالتون وأطلانطا .

وهذه الخطوط تربط أوهيو بخليج المكسيك .

٦ — من ريتشموند إلى سفانا ماراً بولمنجتون وشارلستون .

وهذا الخط يربط ريتشموند بموانى الأطلنطى .

وكانت جبال أليجانى تقسم مسرح الحرب الواقع بين الميسيسبي والأطلنطى إلى مسرحين فرعيين : المسرح الشرق والمسرح الغربى ، ويحسن أن نطلق عليهما المسرح السياسى والمسرح الاستراتيجى ، فقد كان العامل المسيطر على العمليات فى الشرق هو تأمين الحكومتين

وعاصمتيهما ، بينما كان المسرح الغربى يتأثر إلى حد كبير بخطوط الاقتراب النهرية ، وخصوصاً الميسيسبى والتنيسى وكومبرلاند وأوهيو .

ولقد طغت السياسة على الاستراتيجية تماماً خلال السنوات الثلاثة الأولى من الحرب ، وكان محور هذا الطغيان كل من واشنجطون عاصمة الشمال ، وريتشموند عاصمة الجنوب ، فقد كان هدف الزعماء فى كل من الجانبين ، هو وقاية عاصمتهم والاستيلاء على عاصمة الآخرين .

وكانت واشنجطن معرضة من الغرب ، واختيارها عاصمة للولايات المتحدة ، اختيار لم يصادفه التوفيق ، لأن المبادأة كانت مع الشماليين ، فلو سقطت واشنجطن فى أيدى الجنوبيين ، فان ذلك سيسبب انهياراً فى الروح المعنوية ، أو بمعنى آخر سيسبب هزيمة معنوية .

أما اختيار ريتشموند لتكون عاصمة للجنوب ، بعد مونتجومرى فى ولاية آلاباما ، فقد كان خطأ استراتيجياً من ديفيز ، ولم يكن ينبغى أن يستجيب فى ذلك الأمر لتأثير فرجينيا ، لأن ريتشموند رغم أنها مركز للسكك الحديدية ، ومن الصعب مهاجمتها من الشمال إلا أنها قريبة من الساحل ، بينما قوة الحلف الحقيقية تكمن فى إقليم الميسيسبى ، وكان ينبغى أن تكون العاصمة فى أطلانطا ، المركز الجغرافى للحلف ، لأن بها فرعاً للسكك الحديدية ، لا يصلها بشارلستون وسفانا و بنسا كولا

وموبيل ونيو أورليانز فحسب، ولكنه يصلها أيضاً بممفيس و ڤيكسبورج على الميسيسبى .

ولو قد اختيرت أطلانطا عاصمة ، إذن لأمكن لقوة ساترة ، ترتكز إلى ريتشموند ، وبحتفظ بها فى ڤرجينيا ، أن تهدد واشنجطون ، بينما القوة الأساسية تستطيع القيام بحرب هجومية دفاعية فى تنيسى مرتكزة إلى شطانوجا ، ومثل هذه الحرب إذا شنت ، فانها لن تحمى الولايات ذات الموارد الغزيرة كالمسيسبى وآلاباما وجورجيا فحسب ، ولكنها ستبقى الطرق مفتوحة إلى ميسورى ، واركنساس ولويزيانا ، وتمد يد المساعدة إلى كنتوكي .

إن قوة الجنوب الاستراتيجية تكمن فى اتساع رقعته ، وفى افتقاره كذلك إلى سبل المواصلات ، لأن الانتصار على الجنوب يستوجب احتلاله احتلالا كاملا ، وهذه هى مشكلة المشاكل أمام قادة الشمال .

الفصل الثالث

الطرفان المتحاربان

الأسباب

قبل نشوب الحرب الأهلية مباشرة ، كان يسيطر على الولايات المتحدة نظامان اقتصاديان متباينان ، نظام إقطاعى زراعى فى الجنوب ، ونظام صناعى فى الشمال ، وقد وحدت الحرب الأهلية الأمريكية فى النهاية بين الشمال والجنوب ، وقد كانت الثورة الصناعية التى اكتسحت الشمال هى السبب الأول فى نشوب الحرب الأهلية الأمريكية .

ومن وراء هذين النظامين ، الزراعى الجامد ، والصناعى المتحرك ، يعيش شعبان متباينان ، رجال الحقول ورجال المدن ، فالشعب الأول ارستوقراطى ، لأنه لم يكن مزارعاً حقاً ، بل كان العبيد يزرعون ، ولابد للعبيد من سادة ، والجنوبيون هم السادة الأرستقراطيون ، أما الثانى فكان يجنح إلى الديمقراطية وكان ذا عزيمة قوية ، يبحث عن الخير لنفسه ، كان خليطاً من جنسيات متعددة ، ولذلك كان شعباً فوضوياً بالتبعية ، وكانت تسيطر على الجنوب روح عسكرية ، ويطبعه طابع فنى دينى ، بينما الشمال يؤمن بالواقعية ، كان شعباً تجارياً عملياً ، كان

كان الجنوب يحيا فى القرن الثامن عشر بينما الشمال يحيا فى القرن التاسع عشر ، كان أحدهما يتلفت إلى الوراء متلمساً الوحى من الماضى وعهد الفروسية ، أما الآخر فكان ينظر إلى الأمام ، إلى عصر الآلة المقبل .

وكان فى الجنوب طبقات ثلاثة ، ملاك الرقيق ، والفقراء من البيض ، والرقيق ، وكذلك الشمال كانت به طبقات ثلاثة ، أصحاب الثروات ، والذين يحاولون تكوين ثروة ، والذين اخفقوا فى الحصول على ثروة ، كان مجد الجنوب يكمن فى عراقة الأصل والدماء الشريفة ، أما مجد الشمال فكان كامنا فى ذهبه ، وهكذا تصادمت قوتان ، قوة الماضى وقوة المستقبل . . . .

كانت الفردية تسيطر على الجنوب ، فالجنوبى لا يعدل بحريته الشخصية شيئاً ، بينما الشمالى يضحى بها فى سبيل الجماعة عند اللزوم ، لقد كان الشمال جماعياً .

موارد الطرفين

كان الجنوب بالاضافة إلى اتساع رقعته ، وضعف مواصلاته ، معرضاً بصورة واضحة ، وكانت الصناعات به متأخرة إلى درجة كبيرة ولا يوجد به إلا مصانع قليلة ، فلم تكن هناك صناعات بالجنوب ، حتى للأشياء الضرورية فكان يعتمد على الآخرين ، وكان قطن الجنوب

وتبغه يستبدلان بالجلود والمنسوجات من انجلترا ، أما المعادن والآلات وقضبان السكك الحديدية والملح ، وحتى المواد الطبية ، فقد كانت ترد كلها من الشمال بل لقد كانت الأسلحة التى حارب بها الجنوبيون فى السنة الأولى من الحرب ، من صنع أيد أجنبية ، هذا علاوة على قلة تجاربهم فى ميدان التجارة ، فقد كانت تجارة الجنوب الخارجية فى أيدى تجار من الشمال ، نعم كان به أحواض للسفن فى نورفولك و پنسا كولا ، ولكن لم يتوفر لديه الكثير من رجال البحر ، بل لقد كانت صناعة السفن نفسها أمراً يكاد يكون غير معروف . . . ؟ ؟

أما الشمال فقد كان صناعياً تجارياً ، يعتمد عليه الجنوب فى أكثر حاجياته المصنوعة ، والصناعة والانتاج فى الحرب الحديثة يساويان الشجاعة فى الأهمية ، ولذلك فان قوة الشمال تكمن فى صناعته وقدرة مهندسيه ، وقوته البحرية ، بينما الجنوب يفتقر إلى هذه جميعاً ، كان ينقصه الالمام بفن الابتكار والتنظيم ، وكان السرج هو الوسيلة السائدة للانتقال عبر المدقات لا الطرق ، لقد كان الجنوب غير متأهب للحرب وما الشجاعة بمغنية فى هذه الحال .

الرئيسان :

كان على رأس اتحاد الجنوب الرئيس جيفرسون ديفيز ، أما الشمال

فكان على رأسه إبراهام لنكولن، وكان الرئيسان مختلفين جد الاختلاف سواء فى المظهر أو الشخصية ، وكانا من وجهة النظر العسكرية عاجزين تماماً ، فقد كان ديفيز يظن أنه يفهم الحرب ، وقد تصرف لنكولن كأنه الوحيد الذى يفهمها ، وليس أدل على جهل ديفيز بماهية الحرب من قوله « فى مطلع عام ١٨٦٢ ، كان هدف حكومة الولايات المتحدة أن ترهقنا بأية طريقة ، وبكل آلة تدمير يمكن اختراعها ، وأساليب الحرب المتمدينة تنص على تدمير القوة المسلحة للعدو ، والاستيلاء على عاصمته ، ولكن هذه الأساليب ، ليست إلا جزءاً من أغراض عدونا ، وهذه العبارة دليل على جهله بطبيعة الحرب الحديثة .

وكان لنكولن رغم فراسته العسكرية ، وبعد نظره يلجأ دائماً إلى المؤتمرات العسكرية ، مما قضى على قوة المبادأة والتصرف عند قواده ، ولم يقلع عن هذا التقليد إلا بعد أن عثر بالجنرال جرانت ، فكف عن التدخل ، أما ديفيز فقد كان وحده الآمر الناهى ، فقد كان بحكم مركزه القائد الأعلى لقوات الجنوب ، فلم يكف ساعة واحدة عن التدخل فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الحرب ، ورغم احترامه للجنرال لى إلا أنه لم يكن يعامله بأفضل من معاملة كاتب أجير عنده .

الجنود

ولقد كان اختلاف طرق المعيشة ، وتباين الأهداف السياسية سبباً

فى خلق نوعين مختلفين تماما من الجنود ، ولما كان الجنود الشماليون سيحاربون فى أرض معادية ، بينما جنود الجنوب يحاربون فى أرضهم فقد دعا ذلك الأولين إلى التمسك بالضبط والربط ، بينما شجع الآخرين على التهاون والتفكك .

ولما كان الجنوب واسع الرقعة ، زراعياً على نطاق واسع ، وطرقه سيئة رديئة ، لذلك كان من الطبيعى أن يتبع جنوده أسلوب حرب العصابات كما فعل أجدادهم فى حرب الثورة ، ولكى تنتصر على قوم كهؤلاء لابد من التذرع بالضبط والربط والأصول العسكرية ، للقيام بعمليات حربية مثالية .

وكان جنود الشمال خليطاً من الأيرلنديين والألمان ، وغيرهم من الأجانب ، وهؤلاء رغم أنهم محاربون أشداء فى بلادهم ، إلا أنهم ليسوا كذلك ضمن جنود الشمال ، لأن معظمهم كان يحارب وهو لا يعرف الهدف الذى يحارب من أجله ، بينما كل جندى من جنود الجنوب يعلم أنه يحارب من أجل وطنه وحريته .

ولولا افتقار جندى الجنوب إلى الضبط والربط ، لأصبح أحسن محارب فرد ، شهده العالم إلى اليوم ، ومن المهم أن نعلم هذه الحقيقة حتى ندرك الصعاب التى اعترضت قادة الشمال فى حربهم هذه .

كان جنود الجنوب ذوى صفات عظيمة كجنود ، تملؤهم الشجاعة

الفردية ، والرغبة فى استخدام أسلحتهم النارية ، والعزيمة والوطنية الصلبة ، والثقة التى لاحد لها فى قادتهم المحبوبين منهم ، والذين يفهمونهم حق الفهم ، أمثال الجنرال لى ، وجونستون وبورحارد ولونجستريت .

وكانت وسائل القتال فى الجيشين مختلفة أيضا ، فجندى الجنوب يسير خفيفا ، يحمل من ثلاثين إلى أربعين رطلا ، أما جندى الشمال فقد كان أثقل حملا من زميله ، إذ يحمل حوالى ستين رطلا ، مع مراعاة أن الحمل الاقتصادى لا ينبغى أن يتجاوز ثلث وزن الجندى ، وكانت قوات الشمال تتخذ التشكيلات المنضمة ، التى تعرضها للنيران بينما قوات الجنوب على العكس .

لقد كان جيش الشمال نصف نظامى ، بينما جيش الجنوب نصف عصابات ، الأول متعلق بالنظام والضبط والربط ، والآخر يعتمد على المبادأة والتصرف الفردى .

الاستراتيجية

وكانت المشكلة التى تواجه كلا من الطرفين ، هى أن الشمال يجب أن يهزم الجنوب ، ليعيد بناء الاتحاد ، وأن الجنوب يجب أن يحافظ على حلفه ، وما قام الحلف من أجله ، وعلى ذلك فان الجنوب يجب أن يقاوم الغزو ، ومعنى ذلك أن المسألة كانت هجومية فى جانب من الجوانب ، ودفاعية فى الجانب الآخر .

ولقد سيطرت فكرة الدفاع على الجنوب ، حتى أن كل ولاية اقتنعت بضرورة الدفاع المحلى ، وقد أدى ذلك إلى بث التنافر بين الولايات المختلفة ، وكانت كل ولاية لاتكتفى بتكوين وحدات الجيش الحلف ، ولكنها تكون إلى جانبها قوات محلية غير نظامية ، ولقد حدثت متاعب كثيرة فيما بعد ، من تداخل هذه القوات غير النظامية فى القوات النظامية .

وكان الأمر بالنسبة للشمال ليس مجرد الانتصار على القوات المسلحة للجنوب ، واحتلال عاصمته ، ولكن الشمال كان يريد أن يقهر إرادة شعب بأكمله ، وأن يحتل بلاده بأكملها ، ومعنى ذلك هو الاعتماد الكلى على قوة السلاح ، فان الحصار لن يكون مجديا فى هذه الحالة ، ولكن يجب قطع خط المواصلات بين الجنوب وبين أوربا ، وقد كان الغرض السياسى بسيطا واضحا ، فاما اتحاد أو لا اتحاد ، ولا ثالث لهذين الأمرين .

قوات الطرفين :

كانت قوة الجنوبيين فى بداية الحرب الأهلية ، لا تزيد عن ١٦٠٠٠ جندى وضابط ، ولم يكن هناك احتياطى ولا حملة ، كما أن القوات لم تكن منظمة للحرب ، وكانت موزعة فى حاميات بعيدة عن بعضها ، وكان أسطول الجنوب مكونا من ستة سفن صغيرة ، واحدة

منها صالحة للعمل ، وخمس قاطرات بحرية بخارية وحوالى ٢٠ سفينة شراعية ، وقليل من القوارب المسلحة ، وكان معظم هذه السفن من طراز عتيق ، رغم جودة تسليحها ، وقد وضع فى أحواض نورفولك حوالى ١٠٠٠ ضابط وجندى ، وأ كثر من ١٢٠٠ مدفع على ساحل فرجينيا ، على بعد مائة ميل من ريتشموند عاصمة الحلف الجنوبى ، ولقد بلغت قوات فرجينيا وحدها يوم ٨ يوليو ١٨٦١ حوالى ٤٠٠٠٠ جندى و٦٦٥ مدفعا .

أما الشماليون فقد دعى للخدمة فى بداية الأمر ٥٧٠٠٠ من المليشيا لاخماد الثورة وفى يوم ٣ مايو ١٨٦١ طلب لنكولن ٤٠٠٠٠ آخرين وذلك بالاضافة إلى ١٨٠٠٠ من البحارة وبعض النظاميين ، وقد بلغ مجمل القوة ١٥٠٠٠٠ رجل تجمع معظمهم حول واشنطن ووضع حوالى ١٢٠٠٠ رجل فى بنسلفانيا و٣٠٠٠ رجل فى شامبرسبورج على بعد ٤٥ ميلا شمال هاربرز فيرى ، وقد ازدادت قوة الأسطول الشمالى من ٤٢ سفينة فى ٤ مارس ١٨٦١ إلى ٢٦٤ سفينة فى أول ديسمبر من نفس العام .

الباب الثانى

معارك عامى

١٨٦١ - ١٨٦٢

الفصل الأول

معركة ماناساس (بول ران) الأولى

مجرى الحوادث

كانت كارولينا الجنوبية طوال تاريخها، ولاية شرسة متوحشة، فقد كانت كذلك قبل الثورة، وبعد إعلان الاستقلال، وقبل اندلاع الحرب الأهلية بسنوات، وكانت شارلستون عاصمة هذه الولاية، يحمى ميناءها عدة قلاع صغيرة، أهمها قلعة فورت سومتر، وكانت مبنية على إحدى الجزر، وفى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٦٠، بعد أن أقرت كارولينا الجنوبية مرسوم الانفصال عن الاتحاد، أصبحت - فى نظر نفسها على الأقل - ولاية ذات سيادة، ومن ثم أعلنت أحقيتها فى هذه القلاع، وكان فى قلعة فورت سومتر حامية صغيرة من جنود الاتحاد، عددها مائة رجل، بقيادة الميجور اندرسون، وكان مجلس الولاية قد طالب باخلاء هذه القلعة، فرفض هذا الطلب.

فى ١٩ يناير سنة ١٨٦١، فتحت النيران على السفينة نجمة الغرب

Star of the West التى أرسلت لتموين القلعة ، فازداد التوتر حدة وعندئذ اتخذ الجنرال بورجارد القيادة فى شارلستون ، وفى ١١ ابريل أرسل انذارا الى الميجور اندرسون ، يطلب منه التسليم وإلا فتحت النيران على القلعة الساعة ٤٣٠ يوم ١٢ ابريل ، وعند ظهر يوم ١٤ ابريل أنزل العلم ذو الشرائط والنجوم ، علم الولايات المتحدة عن القلعة ، وانتقلت فورت سومتر الى أيدى الجنوبيين .

وكانت الاهانة التى لحقت بعلم الولايات المتحدة هى السبب المباشر فى إشعال نيران الحرب ، فقد كانت الأعصاب متوترة ، والمشاعر متحفزة ، فجاء هذا الحادث كالشرارة التى أحدثت الانفجار وفى الخامس عشر من ابريل ، وقع لنكولن مرسوما بدعوة ٧٥٠٠٠ من المليشيا : وفى السابع عشر أعلن الحصار على جميع السواحل الجنوبية ، رغم أنه كان لا يستطيع ذلك تماما ، وفى اليوم ذاته انفصلت فرجينيا ، واحتلت قاعدة الأسطول فى نورفولك ، كما احتلت ترسانة هاربرزفيرى البحرية ، وفى ٣ مايو بدأ لنكولن يدرك خطورة الحالة ، فأصدر مرسوما ثانيا بدعوة ٤٢٠٠٠ من المتطوعين لمدة ثلاث سنوات .

أما فى الغرب فقد حاول جاكسون محافظ ميسورى ، أن يحتل

سانت لويس ، وأن يحتفظ بها للجنوب ولكن قواته انهزمت أمام الجنرال ليون عند بونفيل يوم ١٧ يونيو ، وبين ميسورى وفرجينيا ، تقع ولاية كنتوكي ، التي وقفت موقف الحياد ، حتى لا يزعجها أحد الطرفين ، ورغم ذلك فقد اكتسحتها الحرب ، وفى شرق كنتوكي تقع فرجينيا الغربية ، وهى منطقة ذات قيمة استراتيجية كبيرة ، لأن خط حديد بالتيمور — أوهيو الذى يقطعها ، هو الخط الرئيسى الذى يربط واشنجطن بالغرب ، وقد تقدم الى هـذه المنطقة الجنرال ماك كليللان الذى تولى قيادة أوهيو ، واكتسح أمامه جماعات الجنوبيين ولم يكسب الجزء الشمالى من فرجينيا الغربية لاتحاد الشمال فحسب ، ولكنه كسب لنفسه مجدا شعبيا كبيرا .

معركة ما ناساس الاولى (٢١ يوليو ١٨٦١)

عند ما فتحت مدافع بورجارد نيرانها على قلعة فورت سومتر كان الكولونيل روبرت لى ، لا يزال ضابطا فى جيش الولايات المتحدة ، ولكنه استقال فى ٢٠ ابريل سنة ١٨٦١ ، مفضلا الدفاع عن وطنه الأصلى فرجينيا ، ولم تنقض أيام ثلاثة حتى تولى قيادة القوات فى فرجينيا ، وطلب منه أن يتولى الدفاع عن الولاية ، فكان أول أمر أصدره أمرا دفاعيا وفى ٢٧ ابريل أرسل الكولونيل توماس جاكسون

الذى أصبح ستونوال جاكسون بعد ذلك بقليل ، الى هاربرز فيرى ليدافع عنها ، وقد دافع عنها فعلا وهكذا كانت فكرة الدفاع مسيطرة على الجنوب منذ بداية الحرب .

وفى ١٠ مايو أسندت الى الجنرال لى القيادة العامة لقوات الحلف الجنوبى ، لكى يضع سياسة دفاعية ، وقد ظل فى هذا المنصب حتى ٨ يونيو ، حين تسلم الرئيس جيفرسون ديفيز القيادة المباشرة وأصبح لى رئيسا اسميا لأركان حربه ، وكانت المشكلة الأولى التى واجهته ، هى تأمين فرجينيا الشمالية ضد الهجوم المباشر ، وذلك باغلاق طرق التقدم الرئيسية أمام الشماليين عند هاربرز فيرى ووصلة ماناساس وآكوياكريك .

وكان الجنرال جوزيف جونستون يدافع عن هاربرز فيرى بقوة تقدر بحوالى ٢٢٠٠٠ رجل ، وكان يقابلهما الجنرال الشمالى العجوز باترسون ، الذى اشترك فى حرب ١٨١٢ — ١٨١٥ ، والجنرال ماك دويل ، وكانا تحت قيادة الجنرال ونفيلد سكوت ، القائد العام لقوات الشمال ، وكانت خطة سكوت أن يثبت بورجارد ، وأن يدفع بقوات جونستون إلى الوراء ، وكان حذرا فى خطته هذه ، فقد كان يخشى ضعف الضبط والربط بين قوات المليشيا ، أكثر مما يخشى إقدام أعدائه .



معركة ماناساس «بول ران» الأولى (٢١ يوليو ١٨٦١)

وكما كان مألوفا فى ذلك العصر «الديموقراطى» ، أخذ الناس الذين لايعلمون شيئاً عن الحرب ، يطالبون بالتقدم فى الحال ، أما الصحافة التى يهمها أن توجه الرأى العام وتقوده ، فقد استغلت الشعار «إلى ريتشموند» أسوأ استغلال ، فأسقط فى يدى لنكولن ، وأيدى وزرائه ونتيجة لذلك تقرر تثبيت جونستون عند هاربرز فيرى ، ومهاجمة قوات بورجارد عند وصلة ماناساس .

وفى ١٨ يوليو ، بعدأن جمع ماك دويل حوالى ٣٦٫٠٠٠ رجل

عند سنترفيل ، أراد أن يتجنب الهجوم بالمواجهة على قوات بورجارد التي كانت تحتل موقعاً خطاً على الضفة الجنوبية لنهر بول ران ، فصمم على تطويق الجناح الأيسر للجنوبيين ، معتمداً على باترسون فى تأمين حركة التطويق التي سيقوم بها وكان فى استطاعة باترسون أن يثبت جونستون عند هاربرز فيرى ، ولكنه فشل فى ذلك ، وتراجع جونستون إلى ونشستر ، وكان بورجارد يريد الهجوم ، ولكن جيفرسون ديفيز ولى عارضا فى ذلك ، وكانا يريدان أن يشتبك ماك دويل مع بورجارد ، ومن ثم يمكن لهما الاتيان بجونستون ، ليكون خلف ماك دويل ، وعلى جانبه الأيمن ، وهذا ماحدث فعلا ، لأنه عندما احتدمت المعركة فى ٢١ يوليو ، وأحس ماك دويل بحاجته إلى احتياط ، لم يجد شيئاً ، وكان قد نجح فى البداية فى دفع قوات عدوه إلى الخلف ، ولكن هذا النجاح تحول إلى العكس عندما بدأ تأثير ضغط قوات جونستون فى الظهور .

ولما لم تستطع قوات ماك دويل أن تصمد أمام قوات الجنوب ، دب الذعر فى صفوفها ، ولم تستطع أية قوة أن توقفها حتى بلغت دفاعات واشنجطن ، وكما حدث فى صفوف الشماليين ، فان الفوضى دبت فى صفوف الجنوبيين ، ولم يعودوا فى حالة تمكنهم من مطاردة العدو المنسحب .

ورغم أن هذه المعركة لم تؤد إلى نتيجة استراتيجية ، إلا أن تأثيرها على الاستراتيجية العامة للحرب كان كبيراً ، فقد ملأت أدمغة سياسي الجنوب ، بفكرة ضخمة عن إقدام جنودهم ، ومن ثم إلى التقليل من شأن عدوهم ، وقدرته على القتال ، كما أنها أزعجت لنكولن وحكومته ، حتى أن شرق ألليجانى حيث دفاعات واشنجطن ، ظل محور استراتيجية الشمال ، منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٨٦٤ .

ولم يزد دور لى فى هذه المعركة ، على اختيار الموقع جنوب نهر بول ران ، من وجهة النظر الدفاعية لا الهجومية ، ولكنه أرسل عقب هذه المعركة مباشرة إلى ڤرجينيا الغربية ، ليتولى قيادة القوات فى تلك المنطقة ولم يظهر حزما فى القيادة فى هذه الخطة ، فقد حدث نزاع بين الجنرالين فلويد ووايز ، على اختصاص كل منهما ، وقد انتهى ذلك النزاع باستيلاء الشماليين على المنحدرات الغربية لڤرجينيا ، مما دعا الشعب إلى اتهام لى بالتهاون ، وكان الشعب على حق فى ذلك ، فقد فشل لى كقائد ، فى أول توليه للقيادة فى الميدان ، ولذلك عزل من قيادة هذه المنطقة ، وأسندت اليه قيادة الدفاعات الساحلية ، لكارولينا الجنوبية ، وجورجيا وفلوريدا ، وموانى هذه الولايات ضرورية لتأمين الحلف الجنوبى ، وقد ظل هناك حتى ١٣ مارس سنة ١٨٦٣ ، حيث استدعى لتولى إدارة العمليات الحربية للقوات الجنوبية ، ولم تتخذ هذه الخطوة ، إلا بعد أن تجمعت نذر العاصفة شمال ريتشموند .

الفصل الثانى

پادوكا ودونلسون وشيلوه

احتلال پادوكا (٥ سبتمبر سنة ١٨٦١)

لقد أفسدت شخصية لى معركته الأولى فى الشرق ، أما فى الغرب فان شخصية رجل واحد ، قد حركت الاستراتيجية ، التى قدر لها أن تكسب الحرب ، ذلك الرجل هو الكابتن يوليسس سام جرانت .

ومن حسن حظ سام جرانت ، أنه خدم فى الجيش خلال حرب المكسيك ، ومن حسن حظه أيضاً أنه عمل كضابط إمداد وتموين لكتيبة وأدرك قيمة التموين والتعيينات ، ومن حسن حظه كذلك أنه ترك خدمة الجيش قبل اندلاع نيران الحرب الأهلية بسنين عديدة ، فنجا من خمول الروتين ، ومن حسن حظه أخيراً أنه حينما نشبت الحرب وتولى منصب قيادة كان مقر قيادته القاهرة، المركز الاستراتيجى للحرب، ومحور نجاحه أنه أنشأ مركز رئاسته هناك منذ ٤ سبتمبر سنة ١٨٦١ ، فقد قدر أنها نقطة فى غاية الأهمية .

ولما كان من غير المتيسر الحصول على نتيجة سريعة حاسمة فى الشرق ، فى تلك المساحة الصغيرة التى يحتضنها نهر سوسكويهانا وخليج

شيزابيك ، وحتى لو سنحت الفرصة لذلك هناك ، فلن تكون النتيجة إلا الدفع بالمراكز السياسية قليلا إلى الغرب ، ولذلك كان زمام الحرب فى القاهرة ، فلماذا ؟ .

إن نظرة سريعة إلى الخريطة ، تقدم لك الاجابة على هذا السؤال ، فان منطقة (ممفيس ـ سانت لويس ـ لويسفيل ـ شطانوجا) قد ينظر اليها على أنها المنفذ لحماية الجنوب ، ولولا أن الجنوب لجأ إلى الدفاع السلبى وحده ، الذى كاد يجلب عليهم الخراب ، لولا ذلك لكانت لديه فرصة الهجوم الناجح ، وكان من الممكن حماية فرجينيا من هذه المنطقة ، بحيث تكون القاهرة مركز ذلك الهجوم ، فان المواصلات النهرية تمتد بينها وبين سانت لويس ، ولويسفيل ، وناشفيل ، وشطانوجا ، وكذلك وصلة السكة الحديد بين يونيون سيتى (٣٠ ميلا جنوبى كولومبوس) ، وناشفيل تعتبر مركز المواصلات الحديدية بين الولايات الشمالية والجنوبية غرب سلسلة جبال ألليجانى ، وكان اتساع تلك المنطقة ١٢٠ ميلا ، وقد أقام الجنوبيون أمام تلك المنطقة أعمالا دفاعية قوية ، عند نيومدريد ، والجزيرة رقم (١٠) فى الميسيسبى وعند فورت هنرى على التنيسى ، وفورت دونلسون على نهر الكومبرلاند ، وقد دفعت القوات إلى ستوكى الجنوبية .

ومن القاهرة أدرك جرانت أهمية پادوكا ، التى تقع على نهر أوهيو

شرق القاهرة بخمسة وعشرين ميلا وهى تقفل مخارج نهرى التنيسى وكومبرلاند .

وفى ٥ سبتمبر طلب جرانت من الجنرال فريمونت ، وكانت له القيادة فى ميسورى، أن يسمح له باحتلال پادوكا ، ولما لم يتلق جوابا ، أسرع واحتل البلدة فى مساء اليوم نفسه ، وهكذا بدأ الصراع من أجل السيطرة على تلك المنطقة الحيوية .

وفى ٧ نوفمبر دخل فى معركة صغيرة مع الجنرال بيلو ، عند بلمونت على الضفة الغربية للمسيسيبى ، وهى تقابل كولومبوس تماما ، وقد برهن جرانت فى هذه المعركة على أنه لا يزال تلميذاً فى التكتيك ، كما كان رجاله غير منظمين على الاطلاق ، وبعد هذا الاشتباك بيومين استبدل فريمونت بالجنرال هنرى ڤاجنر هاليك ، فأصبح قائداً لجرانت وكان هاليك فهرسياً غبياً غيوراً بطبيعته ، يؤذى نفسه أن ينجح غيره وقد وصفه أحد الكتاب بقوله « إنه فراغ كبير محاط بشىء من الثقافة » وهكذا بدأت معركة جديدة لا صلة لها بالعمليات ، كانت معركة بين بلادة هاليك وكتبه التعليمية ، وعبقرية جرانت المتفتحة ، وقد استمرت هذه المعركة حتى ٣ مارس سنة ١٨٦٤ ، حينما استدعى جرانت إلى واشنجطن .

وكان لنكولن ذا بصيرة استراتيجية نفاذة ، فقد كان يدرك ما ينبغى أن يكون ، وإن كان لا يدرى طريقة التنفيذ ، وكان مقتنعا بنقل مسرح الحرب إلى شرق التنيسى ، لا لأن ذلك سيطمئن الشعب فحسب ، بل لأن التقدم فى تلك البقعة يهدد شطانوجا ، ذلك المركز الاستراتيجى الحيوى ، فلما تولى الجنرال ماك كليللان القيادة فى أول نوفمبر سنة ١٨٦١ ، محل الجنرال سكوت ، أسند قيادة أوهيو إلى الجنرال دون كارلوس بويل ، ووافق على التقدم فى شرق التنيسى ، لأن ذلك جدير باستدراج الجنوبيين غرباً فيبتعدوا عن فرجينيا .

ولكن بويل وهالليك لم يستطيعا الاتفاق ، وأمر بويل الجنرال توماس بمهاجمة زولليكوفر ، فهزم الجنوبيين عند ميل سبرنجز فى ١٩ يناير سنة ١٨٦٢ .

وقد كانت هذه المعركة شديدة الأهمية من الناحية الاستراتيجية ، لأنها دفعت بقوات الجنوبيين فى كنتوكى ، فأبعدتهم عن خط المواصلات الرئيسى ، الذى يؤدى إلى ممر كومبرلاند ، ومن ثم إلى شرق التنيسى وهذا الممر هو حلقة الاتصال بين منابع نهرى كومبرلاند والتنيسى ، لقد كانت ضربة للجناح الأيمن للجنوبيين بقيادة الجنرال البرت جونستون ، تلك القوات التى تحتل كنتوكى ، وتربط الميسيسبى وسفوح جبل كومبرلاند فى شكل قوس ضخم .

ولما كان هاليك فى اليسار ، ومركز رئاسته فى سانت لويس ، وبويل فى الوسط ومركز رئاسته فى لويس فيل ، فقد وزع چونستون قواته بطريقة خطرة ، فيها كثير من المجازفة ، فقد كان خط مواصلاته الرئيسى يجرى خلف خطوطه مباشرة ، وبالذات ذلك الخط الحديدى الذى يصل بين هيكمان وباولينج جرين ، مارا بكلاركسفيل ، وكان مركز رئاسة چونستون فى باولينج جرين .

معركة فورت هنرى (٦ فبراير ١٨٦٢)

ولقد أدرك بويل الضعف فى توزيع قوات چونستون ، فاقترح على ماك كليلان أن يتحرك إلى ناشفيل ، ولكن هاليك وقد اعترضته بعض صعوبات هينة فى ميسورى لم يوافق على الاقتراح ، هذا بينما جرانت فى القاهرة ، يتحرق إلى توجيه ضربته إلى مركز السكك الحديدية ، فى فورت هنرى وفورت دونلسون ، وذلك بقصد فصل القوات الجنوبية فى ميسورى عن زميلتها فى كنتوكي ، وذلك كخطوة أولى للاستيلاء على المنطقة التى يسمونها Sally Port .

فى ٦ يناير ١٨٦٢ طلب الاذن من هاليك ، ليقوم بتوجيه ضربته وفى ٢٣ يناير كرر هذا الطلب ، ولكن بدون جدوى ، ولكن هاليك

الذى دبت فى صدره الغيرة نتيجة لانتصار بو يل ، فى ميل سبرنجز ، أبرق إلى ماك كليلان فى العشرين من يناير ، يطلب الاذن بالزحف على المعقلين ، حتى يطوق كولومبوس ، و يجبر العدو على إخلاء باولينج جرين ، وفى أول فبراير أصدر أمره إلى جرانت بالاستيلاء على فورت هنرى ، واحتلالها ، وهذا ما فعله جرانت ، فقد استسلمت فورت هنرى فى ٦ فبراير ، بفضل أسطول فوت من القوارب المسلحة ، وقد انسحبت حامية القلعة دون قتال تقريبا ، وكان لهذا الانتصار أثره الكبير فى إذكاء الروح المعنوية لقوات الشمال ، والأثر العكسى فى قوات الجنوب .

معركة فورت دونلسون (١٢—١٦ فبراير ١٨٦٢)

لما أدرك جونستون أن القوارب المسلحة لا تقهر ، صمم على إخلاء باولينج جرين ، والتراجع إلى ناشفيل بأربعة عشر ألف رجل ، بينما يرسل باثنى عشر ألفا إلى فورت دونلسون وذلك ليعينوها على الصمود حتى يتم تقهقره ، و بعد أن يتم تقهقره من باولينج جرين ، يمكن لهذه القوة الانسحاب من فورت دونلسون ، واللحاق بالقوة الأساسية ، ومهما كان غرض جونستون ، فقد كان تقسيم القوة على هذا النحو أمراً قتالا ، فلو أن قواته وعددها ٢٦٫٠٠٠ رجل ، انضمت إلى قوة

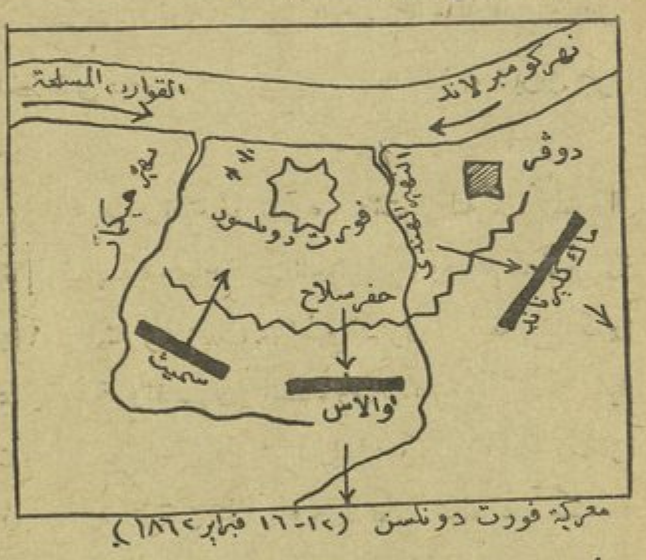
فورت دونلسون فقد كان محتملا إلى حد كبير ، أن ينهزم أمامه جرانت .

وكان جرانت من ناحيته متفائلا أكثر من اللازم ، فقد ظن أن فورت دونلسون كالبندقة الهشة ، سرعان ما تنكسر عند أول ضربة ، كما حدث فى فورت هنرى ، ولكن ما ظنه لم يحدث ، فقد كانت المواقع أقوى وأنسب فى هذه المرة ، كانت البطاريات المنصوبة على الخط المائى ، غير معرضة من الناحية العملية ، لنيران القوارب المسلحة .

وفى ١١ فبراير تقدم جرانت ، وكانت خطته أن يطوق القلعة من ناحية اليابسة ، ويهاجمها من ناحية النهر ، وقد تم التطويق فى ١٤ فبراير ، وكانت فرقة سميث فى الجهة اليسرى ، وفرقة ماك كليرناند فى اليمين ، وفرقة والاس فى الوسط ، وفى الساعة ١٥٠٠ تقدمت قوارب فوت المسلحة على النهر وفتحت نيرانها ، وكانت قريبة أكثر من اللازم ، فارتدت إلى الخلف وجرح فوت نفسه ، وهكذا فشل الهجوم .

وكان يتولى القيادة داخل القلعة الجنرال فلويد ، قائد الجنوبيين فلما وجد أنه مطوق ، قرر أن يفتح لنفسه طريقا ، وأن يبدأ هجومه فى بكور يوم ١٥ فبراير ، وقد دفع بفرقتى ماك كليوناند ووالاس إلى

الوراء فى عنف ، وكان جرانت فى ذلك الوقت على بعد أميال يتشاور مع فوت ، وكان من الغباء بحيث أنه لم يكل أمر القيادة إلى أحد فى غيابه ، وهكذا عند ما أوشك جيشه على الانهزام ، لم يجد قائداً يوجهه فلما عاد أدرك فى الحال أن كلا من الطرفين ، فى حالة اضطراب وفوضى ، وأن الرابح من يوجه ضربته أولا .



معركة فورت دونلسن (١٢-١٦ فبراير ١٨٦٢)

وأسرع جرانت بسحب فرقتى ماك كليرناند ووالاس الى الخلف لاعادة تنظيمهما ، وأمر سميث الذى لم يوجه اليه الهجوم ، باقتحام الدفاعات التى تواجهه ، ثم عاد إلى ماك كليرناند ووالاس ، وحركهما إلى الامام ، ليحتلا خطوطهما السابقة ، ومما هو جدير بالملاحظة هنا ،

برود جرانت وثبات أعصابه مما جعله يتصرف على هـذا النحو ، الذى جعل مفاتيح القلعة فى يد سميث .

وعندئذ أسلم فلويد القيادة الى بيلو ، الذى أسلمها بدوره إلى بوكنر أحدث الجنرالات فى القلعة ، وقد فر الجنرالان الأولان مع ٣٠٠٠ جندى تحت جنح الظلام .

وفى ١٦ فبراير استسلم بوكنر بلا قيد ولا شرط ومعه ١١٥٫٥٠٠ جندى ، ٥٠ مدفعا ، وقـد كانت خسائر جرانت ٣٠٠٠ رجـل بين قتيل وجريح ومفقود ، وكان استسلام فورت دونلسون أكبر كارثة لحقت بالجنوبيين ، منذ نشوب الحرب الأهلية حتى استسلام الجنرال لى فى نهاية الحرب ، وقد يظن أن فى هذا مبالغة ولـكن ذلك هو الواقع ، فقد أجبر استسلام فورت دونلسون الجنوبيين على التقهقر فى منطقة Sally Port ومعنى ذلك أنهم لم يكسروا جبهتهم الغربية فحسب ولـكنهم بدأوا يخرجون من تلك المنطقة الهجومية ، التى يمكن منها الدفاع عن فرجينيا ، ولم تفتح الطريق للاستيلاء على نيوأورليانز باجتذاب قوات العدو شمالا فقط ، ولـكنها أدت إلى معركة فيكسبورج كما أدت إلى إخلاء كولومبوس وناشفيل .

إنها أكسبت الشمال كنتوكى ، وتركت تنيسى مفتوحـة أمام

الغزو ، وحرمت الجنوبيين من ٠٠٠ و ١٧٥ من الجندين الضروريين وليست هناك معركة أخرى فى الحرب الأهلية الأمريكية ، أدت الى كل هذه النتائج ، أو فتحت الطريق إلى هذه الاحتمالات .

وكان معنى ذلك كله بالنسبة إلى هالليك هو الخسارة الكلية وقد رأى جرانت بحق أن الطريق مفتوحة أمام الشماليين فى الجنوب الغربى كله ، ولكن هالليك اعترف لماك كليللان بأنه ليست لديه خطة معينة ، تاركا چونستون ينسحب إلى كورينث ، ليجمع قواته المبعثرة هناك ، واحتل بويل ناشفيل فى ١٤ فبراير ، حيث تراءى له أن يوجه ضربة إلى الخط الحديدى ممفيس - شارلستون ، وقد وافقه هالليك على ذلك ، غير أنه جعل الجنرال سميث على رأس الحملة ، مبعدا جرانت ومتهما له بعدم الانقياد ، ولم يكن هناك من سبب لما فعله هالليك سوى الغيرة الحمقاء من جرانت ، فقد كان يخشى أن يحصل جرانت على انتصارات أخرى فيحل محله فى القيادة .

وقد وقع حادثان كان لهما تأثير كبير على مجرى الحوادث فى الغرب ، أولهما أن ماك كليللان قد أعفى من منصبه كقائد أعلى فى مارس ، حتى يتفرغ لقيادة جيش البوتوماك ، الذى يعمل ضد ريتشموند وتبعا لهذا التغيير فى القيادة أسندت إلى هالليك قيادة قوات الولايات المتحدة بأكملها فى الميدان الغربى ، وذلك فى ١١ مارس ، وبذلك

أصبح بويل تحت إمرته ، وبعد ذلك بيومين أعاد جرانت إلى منصبه وطلب منه أن يعتذر عن سلوكه السابق .

أما الحادث الثانى فهو أن الجنرال كورتيس قد أمن ولاية ميسورى ، ففى يومى ٧ ، ٨ مارس هزم الجنرال ڤان دورن هزيمة ساحقة فى بى ريدج ، وقد طمأن هذا الانتصار الجنرال هاليك على سلامة الجانب الغربى للميسيسبى ، وكان قد قرر أن يحرك جيشه المختلط إلى كورينث ليحقق ذلك الغرض .

وفى هذه الأثناء قام سميث بعدة غارات صغيرة ، ثم استقر فى سڤانا ، ومعه فرقتا شيرمان وهيرلبوت فى پيتسبورج لاندينج ، بينما احتلت فرقة والاس موقعاً على بعد أميال من الفرقتين الأخريين ، فى كرامب لاندينج .

وقد وصل جرانت إلى سڤانا يوم ١٧ مارس ، ومعه تعليمات من هاليك باتخاذ خطة الهجوم ، على ألا يتورط فى اشتباك عام ، حتى يصل إليه بويل ، وكان فى ذلك الوقت فى كولومبيا على بعد أربعين ميلا من ناشڤيل ، وسرعان ما أدرك جرانت الخطأ فى توزيع قوات سميث ، فجمع الجيش كله فى پتسبورج وكرامب لانديج ، وبدأ فى تدريب قواته « الخام » .

وكان جرانت يتوقع أن يصل بويل فى الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين ، ولكن نظراً لبعض الأعطال فى الطريق ، أبرق بويل إلى جرانت أنه لن يصل قبل الخامس من ابريل .

وبالرغم من ذلك التأخير ، الذى مكن چونستون من جمع قواته وتنظيمها عند كورينث ، على بعد أقل من عشرين ميلا من اللاندينج ، على الرغم من ذلك لم يدرك جرانت فائدة حفر خنادق لقواته فى المواقع التى تحتلها ، وعلى ذلك فلم يدخل فى حسابه ما قد يفعل عدوه ، واهتم بما يفعله هو شخصياً ، فلم يدر بخلده قط أن عدوه الذى يحتل خنادق فى انتظار هجوم الشماليين عليه ، يترك خنادقه ويخرج ليهاجم القوات التى ستهاجمه ، والأسوأ من ذلك أن جرانت قد أقام مركز رآسته فى سڤانا بينما شريدان وكان القائد المعين للفرق الثلاثة فى پتسبورج لاندينج ، قد فشل فى تأمين مواجهته ، ولم يخرج أى داوريات أمامها لتسترها .

وفى يوم ٤ ابريل سقط جرانت من على ظهر حصانه ، وأصيب إصابة بالغة ، وفى اليوم التالى عاد إلى سڤانا ليقابل بويل ، فأرسل اليه شيرمان رسالة يقول فيها « إنه لا ينتظر حدوث أى شىء اليوم ، إلا تبادل إطلاق النيران الذى يحدث عادة بين الداوريات » ، وأن

العدوليس فى حالة تمكنه من دفع داورياتنا بعيدا ، وأنه ـ أى شيرمان ـ لا يرحب بشىء أكثر من هجومهم على مواقعه » .

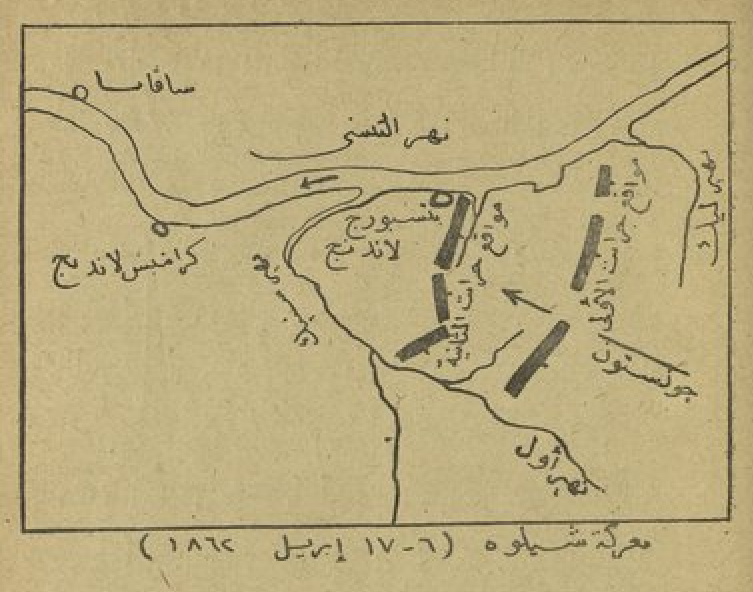
وعند ما كتب شيرمان تلك الرسالة ، كان ٤٥٠٠٠ من الجنوبيين على بعد ميلين فقط من معسكره فما الذى حدث ؟ ؟

بعد سقوط فورت دونلسون ، تراجع چونستون إلى ناشفيل ، ثم إلى مورفريسبورو ، ثم أخيراً إلى كورنيث ، وهناك لم شتات قواته فلما أخليت كولومبوس يوم ٢ مارس ، انضمت اليه قوة لا بأس بها تحت قيادة الجنرال بورجارد ، وكان قدسبق إرساله إلى الميدان الغربى ، بعد معركة ماناساس الأولى (بول ران) بقليل ، فلما وجد چونستون نفسه قويا ، فى ٢٩ مارس ، بعد أن انضم اليه الجنرال براج ومعه ٣٠٠٠٠ رجل ، ووجد نفسه على رأس قوة مكونة من ٤٥٠٠٠ رجل ، صمم على مهاجمة جرانت قبل أن ينضم اليه بويل .

وفى ٤ ابريل خرج من كورينث ، مؤملا أن ينقض على جرانت فى الصباح التالى ، وأن يلقى به فى التنيسى ، ولكن قواته خذلته ، فلم يستطع تشكيلها للهجوم قبل السادس من ابريل ، والعجيب أن داوريات الجنوبيين اقتربت من داوريات الشماليين ، لدرجة تمكنهم من رؤية ما يجرى بمعسكرانهم ، دون أن ينتبه اليهم أحد .

وقد بدأ الهجوم فى بكور ١٦ ابريل ، وكان مفاجأة تامة ، وقد تراجعت قوات الشماليين الأمامية قليلا إلى اللاندينج ، بعد أن حاربت ببطولة ، أما غير المحاربين فقد فر منهم الآلاف ، فى رعب وفزع ، وهكذا واجه جرانت هذا المنظر الفريد فى نوعه ، عندما عاد من سفافا ، الساعة ٦٠٠ من صباح ٦ ابريل .

وكان يبدو من الواضح أن الهزيمة محققة ، ولو كان أى قائد عادى فى هذا الموقف ، إذن لسارع بوضع خطة انسحابه ، أملا فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، من فلول جيشه ، ولكن جرانت كان قائدا غير عادى لأنه كان من أولئك الرجال النوابغ ، الذين تقويهم الكوارث والأزمات ، بدلا من أن تفل عزائمهم ! وهكذا أرسل الذخيرة إلى الأمام ، ونظم الاحتياط ثم ركب إلى الجبهة ، وفيما بين الساعة ٦٠٠ وحلول المساء ، قام بثمانية عشر عملية مهمة ، فثبت فرقه الموزعة ، وأوقف العدو ورده ، إلى أن يخف بويل لمساعدته ، وقد قتل جونستون فى الساعة ١٤٣٠ ، وفى هذه الساعة أيضا كان احتياطى الجنوبيين قد تبعثر تماما .



معركة شيلوه (٦-١٧ إبريل ١٨٦٢)

ونجدد الهجوم يوم ٧ ، وعندئذ صمم الجنرال بورجارد — وقد آلت إليه القيادة بعد چونستون — على الانسحاب ، ولم يقم جرانت بمطاردة ما ، وكانت هذه غلطته الفاحشة ، لأنه لو فعل ذلك لأباد عدوه تماماً ، ولكن جرانت لم يقم بالمطاردة لأنه لم يكن مستعداً لها ، ولأنه لم يقابل بويل إلا بعد أن أصبحت المطاردة عديمة الجدوى ، وهكذا تمت المعجزة ، ونجت قوات جرانت .

وفى ١١ ابريل وصل هالليك إلى بيتسبورج لاندينج ، وجمع جيشاً قوامه ١٠٠٫٠٠٠ رجل ، وبدأ فى التحرك إلى كورينث فى

٣٠ أبريل ، فوصلها فى ٣٠ مايو ، ليجدها قد أخليت تماماً ، لقد استغرق ذلك القائد المظفر ٣١ يوماً ليقطع ٢١ ميلا فقط ، ويا ليته وقف عند ذلك الحد . . . ؟؟ إنه جعل جرانت قائده الثانى ، وجرده من كل سلطة على جنوده ، وعامله معاملة بلغت من السوء أن جرانت طلب إعفاءه من خدمة الميدان ، فوافق على ذلك ، وأقام رياسته فى ممفيس وظل هناك حتى ١١ يوليو حيث حلت رحمة الله بالشمال ، فقد فشلت معارك كليللان ضد ريتشموند ، واستدعى لنكولن الجنرال هالليك إلى واشنجطن ، حيث أسند إليه القيادة العامة للقوات البرية للولايات المتحدة ، بينما كان على بويل أن يبدأ رحيله إلى شطانوجا يوم ١٠ يونيو.

وفى هذه الفترة كان جرانت لا يزال فى قيادة قوات غرب التنيسى ، وكانت قوته المكونة من ٤٦٫٠٠٠ رجل فى الاحتياط إسمياً إلى أن يحتاج إليها بويل ، وقد أتاحت هذه الفترة لجرانت أن يتعلم الكثير ، فقد قام فى فترة الشهرين المغضوب عليه فيهما ، بتحليل أخطائه السابقة ، وقد استنتج منها كثيراً من الدروس ، وبدأ يكون — فى رأسه — تلك الاستراتيجية التى قدر لها أن تربح الحرب .

الفصل الثالث

معركتا شبه الجزيرة والأيام السبعة

لنعد مرة أخرى إلى الشرق ، بعد هذه الجولة الرائعة فى الميدان الغربى ، وقد سبق لنا أن قلنا إن معركة ماناساس (بول ران) الأولى قد ملأت الجنوبيين بالثقة فى أنفسهم ، فلم يفكروا فى تحسين أحوالهم وترتيب أمورهم ، أما بالنسبة للشماليين ، فالأمر مختلف أشد الاختلاف فان ماك كليلان المحبوب من الشعب ، قد استدعى إلى واشنجطن ، حيث عينه لنكولن فى أول نوفمبر قائدا عاما مكان سكوت ، وقد عمل منذ استدعائه الى واشنجطون حتى ربيع ١٨٦٢ على رفع مستوى جيش البوتوماك وتنظيمه ، ولم يقبل أن يقوم بأية عملية هجومية حتى يستكمل تدريبه وتجهيزه .

ومرت الشهور ولم يجد جديد ، فبدأ الرأى العام يطالب بعمل ما فنتج عن ذلك أن أصدر لنكولن أمره فى ٢٧ يناير ١٨٦٢ ، بأن يتحرك جيش البوتوماك جنوبا ، فى ٢٢ فبراير ، وهو ذكرى عيدميلاد واشنجطن ، وأن يهاجم قوات الجنوبيين حتى وصلة ماناساس ، وقد اعترض ماك كليلان على ذلك بشدة ، ووضع أمام الرئيس خطته التى

تتلخص فى أن ينقل جيشه جملة بطريق البحر الى أوربانا ، على مصب نهر راپاهانوك ، وهى على مسيرة يوم واحد من ويست پوينت، وثلاثة أيام من ريتشموند ، وفى أوربانا يكون باستطاعته أن يحصر قوات ماجرودر ، التى تحتل شبه جزيرة يوركتاون ، ومن ثم يستولى على ريتشموند قبل أن يستطيع چوزيف چونستون العودة من ماناساس ، والتدخل ، فاذا لم يمكن النزول فى أوربانا ، فانه قد يستطيع النزول فى خليج موب چاك . شمال مصب نهر يورك أو عند فورترس مونرو كملجأ أخير للنزول .



اختيار ماك كليلان للقواعد (٢٧ يناير ١٨٦٢)

ولم يرحب لنكولن بالفكرة لأن أهوال بول ران الأولى لم تبارح مخيلته بعد ، وفى رأيه أن ذلك سيعرض العاصمة للهجوم لأنه سيتركها مفتوحة أمام الهجوم المباشر من چونستون ، يعاونه چاكسون الذى كان فى ذلك الوقت يحتل وادى شناندوه ، ورغم ذلك فقد قبلت الحكومة الفكرة فى ٢٧ فبراير ، طالما أن هناك قوات كافية للدفاع عن واشنجطن ، فصدرت الأوامر إلى ماك كليللان فى ٨ مارس أن يبدأ العمل فى ١٨ مارس .

وفى الوقت نفسه لم تطمئن حكومة الجنوبيين إلى سقوط فورت هنرى وفورت دونلسون ، فأمر جيفرسون ديفيز : الجنرال چونستون بالعوده إلى فريد ريكسبورج فى التاسع من مارس ، وقد حدثت بعد ذلك فى نفس الوقت حادثة غير منتظرة ، فقد أبحرت السفينة المصفحة ماريماك ، التى بناها الجنوبيون فى نورفولك ، وهاجمت السرية الشمالية فى هاملتون رودز ، ثم اشتبكت مع السفينة مونيتور فى معركة فى اليوم التالى ، وكان من نتائج هذين الحادثين ، أن أمر ماك كليللان بتغيير محل نزوله ، فأصبح فورترس مونرو ، كما قرر أن يترك ٤٠٠٠٠ رجل لحماية واشنجطون .

وقد بدأت عملية نزول ماك كليللان فى السابع عشر من مارس ، ولكنه لم يتحرك شمالا حتى الرابع من ابريل .

ورغم أن ماك كليلان كان يقود أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ رجل يقابلهم ١٣٫٠٠٠ رجل تحت قيادة ماجرودر ، إلا أن تقدمه كان بطيئاً وحذراً ، وكانت فكرة چونستون أن يجمع كل القوات الممكنة ، بما فى ذلك القوات الموجودة فى كارولينا وجورجيا ، وأن يدخلوا المعركة مع الغزاة فى ظل تحصينات ريتشموند ، وقد عارض لى ـ الذى استدعى إلى ريتشموند فى ١٣ مارس ـ هذه الفكرة ، لأن ذلك سيعرض موانىء شارلستون وسڤانا ، للسقوط فى أيدى الشماليين ، وقد وافقه چيفرسون ديڤيز على ذلك ، وصدر الأمر إلى چونستون بقيادة المعركة ضد كليلان ، فقام چونستون بذلك فعطله أمام يوركتاون حتى ٣ مايو ، حيث تقهقر فى اتجاه ريتشموند ، وفى ٢٠ مايو احتل موقعاً جنوب العاصمة ، وكان جنبه الأيمن يستند إلى درورى بلاف ، وجنبه الأيسر على نهر شيكاهومينى قرب نيوبريدج .

وعندما غادر ماك كليلان واشنجطون ، وجد أنه بدلا من أن يترك ٤٠٫٠٠٠ رجل كحامية للمدينة ترك نصف هذا العدد فقط ، ولذلك فان الحكومة استبقت أحد فيالقه بقيادة ماك دويل ، ولما أقام ماك كليلان رئاسته عند هوايت هاوس على البامونكى ، أخذ يستحث

لنكولن ليرسل اليه ذلك الفيلق ، المتجمع الآن قرب فريدريكسبورج وقد وافق الرئيس على ذلك .



معركة سفن پاينز او فير أوكس (٣١ مايو - ١ يونيو ١٨٦٢)

وقد صمم ماك كليلان على التقدم إلى ريتشموند يوم ٣٠ مايو ، فتعمل ثلاثة فيالق شمال نهر شيكاهوميني ، بينما يعمل فيلقان جنوبه ، ومن الواضح أن ذلك توزيع خطر للقوة ، لأن ماك دويل سيتقدم جنوباً من فريد ريكسبورج على رأس ٤٠٫٠٠٠ رجل يوم ٢٦ مايو ،

ولكن حدث يوم ٢٤ مايو أن تلقى أمراً من لنكولن بأن يرسل ٢٠،٠٠٠ رجل من فيلقه لمعاونة بانكس الذى هزم فى وادى شناندوه وأن عليه ألا يتحرك جنوباً .

وقبل أن تصل هذه الأنباء إلى ماك كليللان كان قد بدأ عملية ضد قوة من الجنوبيين بقيادة الجنرال برانش كانت موضوعة فى هانوفر كورت هاوس ، وكان غرضه من تلك العملية هو تطهير خط



موقع هوايت هاوس الاستراتيجى

تقدم ماك دويل ، وتدمير الكبارى الواقعة على خط فرجينيا الحديدى الرئيسى ، فلما سمع بانسحاب ماك دويل ، صمم على اتمام عمليته ، خوفا من أن ينقض برانش على مستودعاته الرئيسية عند هوايت هاوس ورغم نجاح هذه العملية إلا أنه كان من الأحكم لماك كليلان أن ينقل قاعدته إلى نهر جيمس ، لأن هوايت هاوس لم تكن محمية تماما بجناحه الأيمن .

ولما سمع جونستون بالموقف السيء الذى يقفه ماك كليلان ، صمم أن يتجمع وأن يهاجم جناحه الأيمن ، قبل أن يصل ماك دويل ، فلما علم أن ماك دويل قد حجز وأرسل إلى وادى شناندوه ، غير خطته وصمم على مهاجمة الجناح الأيسر للشماليين ، وفى ٣١ مايو بدأ الهجوم ، وفى المعركة المسماة سفن پاينز (فير أوكس) تراجع الجناح الأيسر للشماليين كما جرح جونستون جرحا بليغاً ، وحل محله فى القيادة الجنرال لى ، وبذلك عاد فى أول يونيو سنة ١٨٦٢ قائداً لجيوش شرق فرجينيا وكارولينا الشمالية .

كان أول أمر فكر فيه الجنرال لى بعد توليه القيادة هو إنشاء قاعدة دفاعية قوية ، يستطيع أن يناور منها ، لأن جيشه كان قليل العدد بالنسبة لقوات ماك كليلان . وقد

جناح ماك كليللان الأيمن مكشوف ، وليس على هذا الجنب إلا حفنة من الجنود ، شمال نهر شيكاهوميني ، فصمم على إبادة تلك الحفنة فى الحال ، ولـكى ينفذ ذلك ، صمم على حفر خنادق متينة لجناحه الأيمن ، حتى يستطيع تقليل القوة التى تحتلها إلى أقل حد ممكن ، ومن ثم يتيسر له تجميع أكبر قوة خفيفة فى جناحه الأيسر ، وبذلك يصبح يمينه قاعدة يعمل منها يساره ، أى أن يمينه يصبح (مفصّلة) للهجوم ، وسيحتل هـذه القاعدة ٣٠٠٠٠ رجل بقيادة ماجردر وهوجر ، ويواجهان جناح ماك كليللان الأيسر ، الذى قوته ٧٥٫٠٠٠ رجل ، بينما يتجمع ٥٠٫٠٠٠ رجل ضد جناح ماك كليللان الأيمن الذى قوته ٢٥٫٠٠٠ رجل ، ويقود ذلك الجناح الجنرال بورتر ، ولكى يؤثر على ذلك التجمع ، قرر استدعاء جاكسون من الوادى .

ولـكى يحقق هذه الخطة أمر الجنرال ستيوارت ومعه ١٠٠٠ من الفرسان ، أن يقوم يوم ١١ يونيو بتحرك سرى إلى مؤخرة العدو بقصد تحديد مدى امتداد يمين ماك كليللان بالضبط ، وفى اليوم نفسه أرسل إلى جاكسون يخطره بأنه أرسل إليه ستة آلايات بقيادة الجنرال لاوتون ، وثمانية بقيادة الجنرال هوايتنج لمعاونته فى سحق القوات التى تواجهه ، وعليه بعد ذلك أن يتحرك إلى آشلاند ، وأن يقطع مواصلات العدو ، بين شيكاهوميني وباموتكى ، وذلك بينما

الجيش يهاجم ماك كليللان فى الجبهة .

وقد قام ستيوارت باستطلاعه بشجاعة ونجاح ، فلم يفقد إلا ضابطا واحدا طول جولته ، وقد اتلف مستودعات لا يقل ثمنها عن سبعة ملايين دولار ، بل واكتشف أن خنادق ماك كليلان لا تمتد أكثر من بيفردام ، وأنه ليس هناك ما يدل على نية ماك كليللان أن يغير قاعدته فى هوايت هاوس ، وأنه أهمل تحصين التبة الواقعة بين هيد وترز ، وبيفردام ، وكان لى يطمع فى السيطرة على مواصلات الشماليين ، بالسيطرة على الطريق الذى يمتد مع التبة .

وفى يوم ٨ هزم جاكسون الجنرال فريمونت عند كروس كيز ، وفى اليوم التالى لاقى الجنرال شيلدز نفس المصير عند فورت ريبيليك .

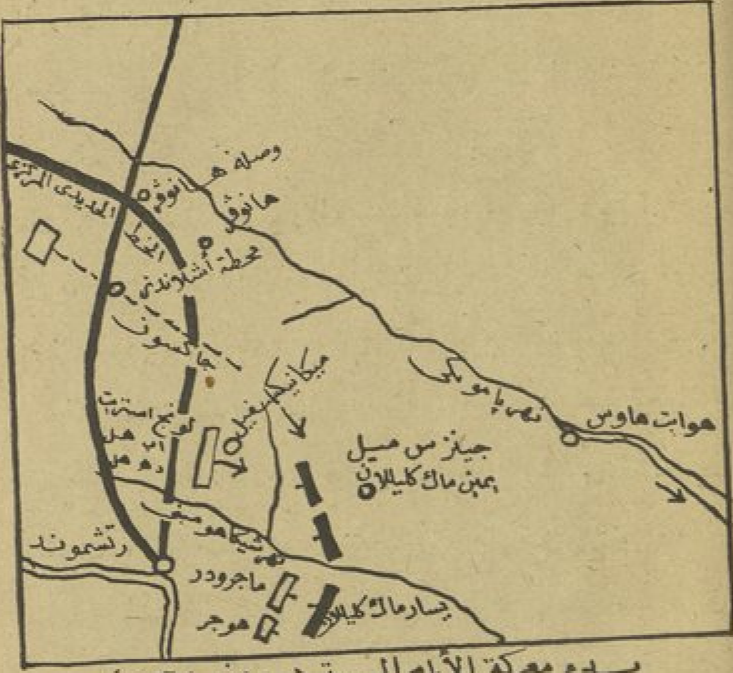
وقد وصلت المعلومات التى حصل عليها ستيوارت يوم ١٤ يونيو ، وفى يوم ١٦ تحقق لى أن اللحظة المناسبة قد حانت ، فطلب من جاكسون أن يقابله ، وفى هذا الاجتماع شرح له جاكسون اعتقاده أن رجاله يستطيعون الوصول الى محطة آشلاند يوم ٢٣ يونيو ، ولكن لى تشكك فى ذلك ؛ فأعطاه فرصة يوم آخر ، وصمم على القيام بهجومه يوم ٢٦ يونيو ، وقد بنى خطته على أن جاكسون يستطيع التحرك من آشلاند يوم ٢٥ ، ومعنى ذلك أنه يجب أن يصل إلى هناك يوم ٢٨ ،

وكانت الخطة النهائية كما يلى :

يقوم ماجرودر وهوجر بتثبيت جناح ماك كليللان الأيسر جنوب شيكاهومنى ، بينما يقوم الجنرال لونجستريت ، ا . ب . هيل د . ه . هيل ، وجاكسون بمهاجمة جناح ماك كليللان الأيمن وكانت فكرة لى أن يستدرج ماك كليللان خارج دفاعاته ، وأن يجبره على الدفاع عن خطوط مواصلاته مع هوايت هاوس ، وكان على جاكسون د . ه . هيل ، أن يهددوا هذا الخط ، وعند ما ينجحان فى استدراج ماك كليللان ، ينقض لونجستريت ، ا . ب هيل على الجناح الأيسر مهما كانت قوته .

وكانت هذه الخطة كلها متوقفة على تقدم جاكسون فى الساعة ٣٠٠ يوم ٢٦ يونيو ، وتطويق بيفردام ، ولكنه أرسل تقريرا من ميرى أوكس الساعة ٩٠٠ يوم ٢٦ يونيو يقول فيها ان مقدمة قواته عبرت خط فرجينيا الحديدى الرئيسى ، وفى الساعة ٢٢٠٠ أبلغ أنه تقدم ميلين ، وأنه فى الطريق إلى هانوفر كورت هاوس وميكانيكسفيل ، ومعنى ذلك أنه استغرق إحدى عشرة ساعة ليتقدم ميلين فقط فما الذى أخره ؟ ... لقد ضل جاكسون الطريق ، نظرا للطرق الجديدة التى شقها الشماليون ، ونظرا للفوضى أثناء السير ، لأن الخطأ فى الطريق

وحده لا يسبب تأخير إحدى عشرة ساعة .



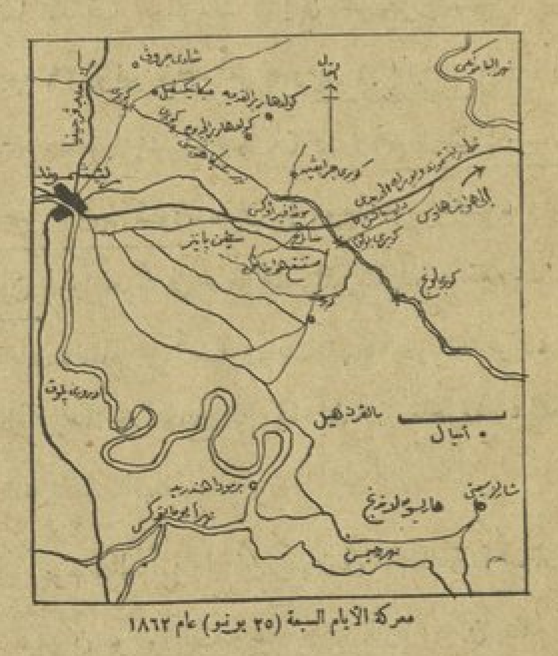
بـدء معركة الأيام السبعة (٢٠ يونيو ١٨٦٢)

ولما لم تصل أخبار عن جاكسون ، تقدمت مقدمة جيش لى وعبرت إلى الضفة الشمالية لنهر شيكاهوميني ، واشتبك ا . ب . هيل اشتباكا عنيفا عند ميكانيكسفيل ، فأصيب بضربة قاصمة ، ولو كان عند ماك كليلان أى ذرة من القيادة لانهارت خطة لى من أساسها ، لأنه فى ٢٦و٢٧ يونيو كان يستطيع تقوية جناحه الأيمن ، وكان بورتر

أو غيره يستطيع فى صباح يوم ٢٧ أن يخترق يمين لى ، وأن يتقدم إلى ريتشموند ، ويبدو أن لى كان متوتر الأعصاب فى تلك الليلة فقد أصدر أمره إلى هوجر ، بأن يحتفظ بخنادقه تلك الليلة مهما كانت النتيجة ، لقد كان يغامر على طبيعة ماك كليلان الحذرة . فقد كان ماك كليلان يعتقد أن جيش لى يبلغ ١٨٠٠٠٠ رجل ، ولذلك قرر أن يتخلى عن فكرة الهجوم ، وأن ينقل قاعدته من هوايت هاوس إلى نهر جيمس ، ومن هناك يستأنف عملياته الهجومية عندما تسنح الفرصة .

وفى فجر يوم ٢٧ تراجع بورتر إلى مواقع مجهزة عند جينزميل وتبعه لونجستريت ، ا . ب . هيل اللذان اضطرا مرة أخرى إلى تأخير هجومهما ، نتيجة لعدم وصول جاكسون ، وحوالى الساعة ١٣٠٠ أصدر لى أمره إلى لونجستريت ، ب . ا . هيل بالتقدم ، بعد ان لم يستطع الانتظار أكثر من ذلك ، وقد وقعت اقتحامات عديدة غير متصلة ، وقد ارتد هيل فى البداية ، ثم دق لونجستريت جناح بورتر الأيمن ، ثم ضرب د . ه . هيل جناحه الأيسر بعد ذلك ، وبعد لأى ظهر جاكسون . ولما لم يتلق بورتر معونة من ماك كليلان ، وأجبر على الخروج من مواقعه . انسحب تحت جنح الظلام إلى الضفة الجنوبية لنهر شيكاهومينى .

ومنذ ليلة السابع والعشرين من يونيو ، حتى أول يوليو ، فقد لى كل سيطرته على المعركة . لأن تنظيم أركان حربه كان واضح النقص ويبدو ذلك بوضوح من التقارير التى كتبت عن المعركة ، فقد كان كل إنسان يصدر أوامر إلى أى إنسان آخر بلا حساب ، فقد كانت المنطقة محدودة وكانت القوات مبعثرة وكان القواد الأصاغر مستقلين إلى حد بعيد .



معركة الأيام السبعة (٢٥ يونيو) عام ١٨٦٢

فى يوم ٢٨ يونيو فقد لى الاتصال مع ماك كليللان ، ولكى يجلو

الموقف دفع بالجنرال إويل إلى بوتوم بريدج ولما ظن أنه فى دور المطاردة ، ارتكب أكبر خطأ بارساله جميع فرسانه بقيادة ستيورات ، لقطع سكة حديد نهر يورك ، وذلك لمنع ماك كليللان من إعادة فتح مواصلاته مع قاعدته على البامونكى ، وهكذا ظل ستيورات مفقودا بالنسبة له ، ولم ينضم اليه إلا بعد هزيمته عند مالفرن هيل .

وقد اكتشف تحرك ماك كليللان نحو نهر جيمس ، فبدأت المطاردة يوم ٢٩ يونيو ، فقد أمر هوجر وماجرودر بضرب القوات الشمالية المتراجعة من الجنب ، بينما كان على لونجستريت ، ا . ب . هيل د . ه . هيل . وچاكسون ، ان يهاجموها من الخلف ، وقد لعب چاكسون دوراً محزناً فى هذا التحرك المشترك ، فقد وجد كوبرى جريب فاين ، المقام على أحد روافد الشيكاهومينى مدمرا ، فأضاع اليوم كله فى إصلاحه ، ونتج عن ذلك أن ارتد ماجرودر ، الذى ترك وحيدا عند محطة سافيدج .

وفى اليوم التالى أمل لى أن يكون فى استطاعة لونجستريت ، ا . ب . هيل أن يوقفوا العدو عند فريزر فارم ، وان يتقدم هوجر على يمينهم ، و . د . ه . هيل وچاكسون على يسارهم و بذلك تهاجم

أجناب العدو ومؤخرته ، ولـكن هوجر لم يظهر على المسرح أبدا ، أما
جاكسون وهيل فقد ظلا طول اليوم شمال هوايت اوك ، وسوامب كريك

وقد تسبب عن هذا التأخير أن فشل هجوم لونجستريت ، ا.ب هيل
وتمكن ماك كليللان من الانسحاب فى أمان إلى مالفرن هيل ، وهناك
احتل موقعاً فى غاية من القوة ، وقد حماه بصف خلف صف من المدافع
ورغم أن ا . ب . هيل قد أبلغ الرئاسة أن الموقع جد حصين ، إلا أن
لى أمر بالهجوم ، معتقدا أن معنويات العدو قد انهارت ، وكانت
النتيجة المحتومة هى فشل جميع الاقتحامات.

وكانت العلامة المتفق عليها لبدء الهجوم صيحة تصدر من أحد
لواءات هوجر ، وبعد ظهر أول يوليو وفى ساعة متأخرة سمع د.ه. هيل
صيحة لم تكن هى الصيحة المقصودة ، فاندفع إلى الامام ، لا يعاونه
جاكسون الذى تأخر مرة أخرى فى تقديم معونته ، فهجم هوجر
وماجرودر لا يعاونهما أحد ، فكانت النتيجة الارتداد إلى الخلف
بخسائر فادحة ، ولقد كلفت هذه الاقتحامات غير المتماسكة الجنرال لى
٥٠٠٠ رجل ، بين قتيل وجريح ، بينما فقد ماك كليللان ثلث هـذا
العدد ، وبهذا انتهت معركة الأيام السبعة ، التى فقد فيها ماك كليللان
٨٤٩ و١٥ رجل ، بينما فقد لى ٦١٤ و ٢٠ رجل.

وقد استحق لى تقـدير مواطنيه ، لأنه هو وحده الذى حمى ريتشموند ، والواقع أن تقديراته كانت صحيحة ومدروسة بمهارة ، ولـكن التنفيذ كان خاطئاً ، وكثير التـكاليف بصورة واضحة ، ومرجع ذلك إلى عدم التعاون بين القادة الأصاغر ، وعدم إلمامهم بطبوغرافية الأرض التى يحاربون عليها ، ومرجعه كذلك ، إلى عاملين من عوامل النقص فى قيادة لى ، وهما عدم رغبته فى التدخل فى عمل مرؤسيه بعد بدء المعركة ، واعتماده إلى حد كبير على الأوامر الشفوية .

الفصل الرابع

معـــارك

ماناساس الثانية وانتييتام وفريدريكسبورج

فى اليوم الأول لهجوم لى ، وبالذات يوم ١٦ يونيو كانت قوات فريمونت وبانكس وماك دويل ، تحت قيادة الجنرال بوب الذى صدرت اليه الأوامر بستر واشنجطون وتأمين وادى شناندوه ، والعمل ضد شارلوتزفيل ليشغل قوات الجنوب بعيدا عن ماك كليللان ، وفى ١١ يوليو كما رأينا من قبـل ، استدعى هالليك إلى واشنجطون وعين قائدا عاما وقد وصل الى واشنجطون يوم ٢١ يوليو ، بينما كان بوب قد حرك جزءا من قواته يوم ١٢ يوليو إلى جوردونزفيل ، وفى ٣ أغسطس صدرت الأوامر الى ماك كليللان بالانسحاب بجيشه شمالا ، رغم تأكيده لهالليك أن المنطقة التى يعمل فيها حيوية ، وأن مصير الولايات المتحدة سيتقرر فيها .

وفى هذه الاثناء اعتقد لى أن ماك كليللان لن يتحرك ، وعلم بتقدم بوب الى شارلوتزفيل ، فأرسـل جاكسون يوم ١٣ يوليو الى

جوردونزفيل ، وقد التقى ببانكس عندجبل سيدار شمال جوردونزفيل وانتصر عليه فى معركة يوم ٩ أغسطس ، ثم تقهقر بعد ذلك عبر نهر الراپيدان .

وبعد ذلك بأيام أربعة وصلت إلى لى إشاعات ، عن اشتباك ماك كليلان ، فصمم على التحرك شمالا فى الحال ، وترك لوائين فقط للدفاع عن ريتشموند ، وحرك بقية جيشه إلى جوردونزفيل ، وهناك صمم فى الخامس عشر على تطويق جانب بوب الأيمن ، بادخال جيشه بين الرآپيدان وواشنجطون ، ولحسن حظ بوب أن أمر لى وقع بين يديه ، فتحققت لديه خطورة موقفه ، فانسحب إلى نهر راپاهانوك ، وقد تبعه لى ، وبعد خمسة أيام فى محاولة تطويق يمينه ، صمم على القيام بتحرك جرىء ، وذلك قبل أن يستطيع ماك كليلان اتمام انسحابه ، ويخف لمساعدة بوب مساعدة فعالة . وكان غرضه تثبيت بوب برجاله الذين يبلغون ٧٠٫٠٠٠ رجل ، بعدد من قواته يتراوح بين ٢٥٫٠٠٠ رجل ، و ٣٠٫٠٠٠ رجل ، وفى الوقت نفسه يرسل جاكسون مع جزء من فرسان ستيورات بطريق دائرى ، خلال ثغرة ثوروفير ، حيث تقوم هذه القوة بضرب قاعدة الشماليين فى وصلة ماناساس ورغم أن انفصال قواته بهذه الكيفية كان خطيرا جدا ، إلا أنه لم يكن

مع ذلك مضمون النتيجة ، لأن فكرته كانت أن يجبر بوب على التراجع لا على أن يدخل معه فى معركة ، و بعد أن فشل فى تقديم لونجستريت وتهديد واشنجطون ، بدفع جيشه بأكمله فى الوادى .

وفى يوم ٢٥ رحل چاكسون من جيفرسون وسار إلى سالم عن طريق آميسفيل ، وفى يوم ٢٦ سار خلال ثغرة ثوروفير ووصل إلى محطة بريستو ، ومن هناك أرسل ستيوارت إلى الأمام لاحتلال ماناساس وفى هذه الأثناء علم بوب بتحركات چاكسون يوم ٢٥ ، ولكنه ظنه متقدما الى وادى شناندوه ، ولما علم بغارته أخلى خط الراپاهانوك ، وأمر بعمل تجمع على وصلة ماناساس .

وبتراجع جيش بوب ، حصل لى على غرضه الأول ، ولكى يحصل على الغرض الثانى وهو التقدم فى الوادى ، فلن يكلفه ذلك إلا أمرا بسيطا الى چاكسون ، فيتحرك بكل سرعة ممكنة عن طريق آلدى وثغرة سنيكر على البريڤيل بينما يسير هو وبقية الجيش فى اتجاه ثغرة آشبى على نفس الموضع وباستيلائه على فرانت رويال والثغرات شمالها ، يستطيع التقدم الى هار برزفيرى ، ومن هناك يجبر القوات الشمالية على أن تنسحب الى دفاعات واشنجطون ، وذلك بتهديد المدينة نفسها .

ونظراً لأن سياسة الجنوب كانت دفاعية ، وهذا يتطلب استراتيجية هجومية، وتكتيكا دفاعيا ، ونظرا لأن لى كان أستاذاً سابقاً فى تحركات الاستراتيجية الهجومية ، فمن العجيب والحال هذه ، أن نراه يرتكب الخطأ نفسه الذى ارتكبه خلال معركة الأيام السبعة السابقة ، بتركه الهجوم الاستراتيجى ، واتباعه الهجوم التكتيكى ، فبدلا من التحرك على ثغرة آشبى ، فقد تقدم خلال ثغرة ثوروفير ، التى كان ينبغى على قوات بوب أن تحافظ عليها ، وكان واضحاً من اختياره المرور خلال هذه الثغرة ، أنه يريد أن يلحق بجاكسون غربى جبل بولران ، وأن يدخل فى معركة مع بوب قبل أن ينضم عليه ماك كليللان ، وهذا ما صنعه فى يومى ٢٩ ،٣٠ أغسطس ، فقد تغلب على بوب فى براعة ، فى معركة ماناساس الثانية ، ولكن الهزيمة لم تكن حاسمة ، لأن بوب تراجع إلى سنترفيل ، يوم ٣١ أغسطس ، حيث ترك فى سلام ، فلم تكن هناك مطاردة ما ، ولقد كان احتلال جاكسون لثغرة ثوروفير ، ومناوراته هناك عملية بارعة ، بعكس مناورات لى التى لم تكن مقنعة من الناحية الاستراتيجية ، لأنه فقد فى المدة من ٢٧ أغسطس إلى ٢ سبتمبر ١٩٧ر٩ رجل من مجموع قوته البالغ ٥٢٧و٤٨ رجل .

معركة أنتيتام (١٧ سبتمبر ١٨٦٢)

وفى يوم ٣١ أغسطس لم يجد لى من الحكمة أن يهاجم بوب فى مواقعه ، فصمم على تطويق جنبه الأيمن ، ولكى يفعل ذلك ، أمر جيشه بالتحرك شمال سنترفيل ، والتقدم إلى فيرفاكس كورت هاوس ، ولم يكن على البال أن يهاجم تحصينات واشنجطون ، لأن تموين جيش لى كان سيئاً لدرجة أنه لا يستطيع البقاء فى ذلك المكان إلا أياماً معدودات ، وبالاضافة إلى ذلك كان ماك كليللان على وشك الوصول ، وسيجبر تفوقه العددى الجنرال لى على الانسحاب ، فالى أين يتحرك ؟

لقد كان مرغما على التراجع إلى راپاهانوك حتى يوقف الشتاء تحرك الشماليين إلى الجنوب ، وكان جيشه فى حالة سيئة ، فأخذ يبحث عن منطقة غزيرة التموين ، ليغذى قواته ، وكان يستطيع ذلك فى يسر فى وادى شناندوه ، أو بعبور البوتوماك ، والتقدم فى ماريلاند وپنسيلڤانيا ، أما الطريق الثانى ، وإن كان أكثر خطورة فلم يكن مقبولا من الناحية الاستراتيجية ، إلا بتجنب الدخول فى معارك ، فقد كانت ماريلاند بلداً معادياً ، ولم تكن غنية بالمواد الغذائية فحسب ، ولكنها كانت تميل إلى تشجيع أهل الجنوب ، وهنا يستطيع لى أن يمون نفسه ، وقد يستطيع جمع مجندين جدد ، ومن المؤكد أنه

سيجذب القوات الشمالية بعيدا عن ريتشموند .

وقد كتب لى فى ٣ سبتمبر إلى الرئيس جيفرسون ديفيز يخطره بأن الجيش سيدخل ماريلاند وهو غير مجهز لهذا الغزو ، فوسائل مواصلاته جد ضعيفة ، والرجال فى حاجة إلى أحذية ، وفى ٤ سبتمبر أصدر أمره بالتقدم دون أن ينتظر إجابة على خطابه ، وكتب إلى جيفرسون يطلب إقامة كوبرى على الراپاهانوك حتى يستطيع إذا اضطر للتقهقر أن يتخذ موقعاً عند وارنتون ، ليهدد أى تقدم إلى ريتشموند .

و بين ٤و٧ سبتمبر عبر جيشه البوتوماك قرب ليسبورج ، وقد حدثت فوضى كبيرة أثناء العبور ، وفى اليوم الثامن كتب إلى جيفرسون يطلب منه أن يطلب إلى حكومة الولايات المتحدة ، الاعتراف باستقلال الجنوب وكأنه اطمأن إلى انتصاراته ، فتجاهل ما عداها ، ولكنه لم يلتفت إلى نقطتين هامتين : أولاهما أن غزو ماريلاند سيثير الشمال ، وثانيتهما أن نجاحه الماضى ليس مرده إلى نقص فى شجاعة الشماليين ، بل إلى نقص فى قيادتهم .

لقد عبر لى البوتوماك شرقى بلوريدج ، لأنه ظن ذلك سيهدد واشنجطون وبالتيمور ، وكم كانت دهشته عند فريدريكسيتى ، حينما

علم أن الحاميات الشمالية عند هاربرزفيرى ومارتنسبورج لم تنسحب .

وفى ٩ سبتمبر خصص چاكسون وماكلوظ لتطويقهم ، لقد كان ذلك تحركا غريباً حقاً ، لأن خط تراجعه المحتمل هو وادى شناندوه ، ولكنه - رغم أن هذه الأماكن واقعة على هذا الخط - لم يكن لديه تصميم على الاحتفاظ بها بعد سقوطها ، واذن فلم يكن هناك ما يمنع من احتلالها مرة ثانية عندما يتقدم شمالا ، ورغم أن ماك كليللان حل محل بوب ، فى قيادة جيش البوتوماك ، إلا أن لى لم يقدر عدوه حق قدره حتى أنه لم ير خطورة فى ارسال نصف جيشه فى اتجاه ، بينما تقدم هو بالنصف الثانى فى اتجاه آخر ، هذا فى مواجهة جيش متفوق عليه فى العدد بنسبة ٢ : ١

وقد ساءت الأمور حقاً فى ١٣ سبتمبر عندما وقعت صورة من أمر لى (رقم ١٩١) -وقد وجدت فى أحد معسكرات الجنوبيين المهجورة- فى يد ماك كليللان ، وهكذا وجد فى يديه بطريق الصدفة السعيدة ، أمر المعركة الخاص بعدوه ، وكان ينبغى على هذا الجنرال أن يقوم بسيطرة على الثغرات فى الجبل الجنوبى وأن ينقض عليها ثم يضرب أنصاف جيش عدوه ، كلا على حدة ، ولكنه بدلا من أن يفعل ذلك ، تأخر حتى الرابع عشر ، ولما أدرك لى أن خطته قد انكشفت ، أسرع بالعودة إلى الثغرات ليقوى حامياتها الضعيفة ، وبعد ظهر ١٤ سبتمبر استولى

الشماليون على ثغرة تيرنر ، فاضطر لى إلى التقهقر ، وصمم على عبور البوتوماك عند مخاضة شفروستون ، وبعد ذلك بساعات عزم على تجميع جيشه المنقسم عند شاربسبورج ، والاستعداد هناك للمعركة .

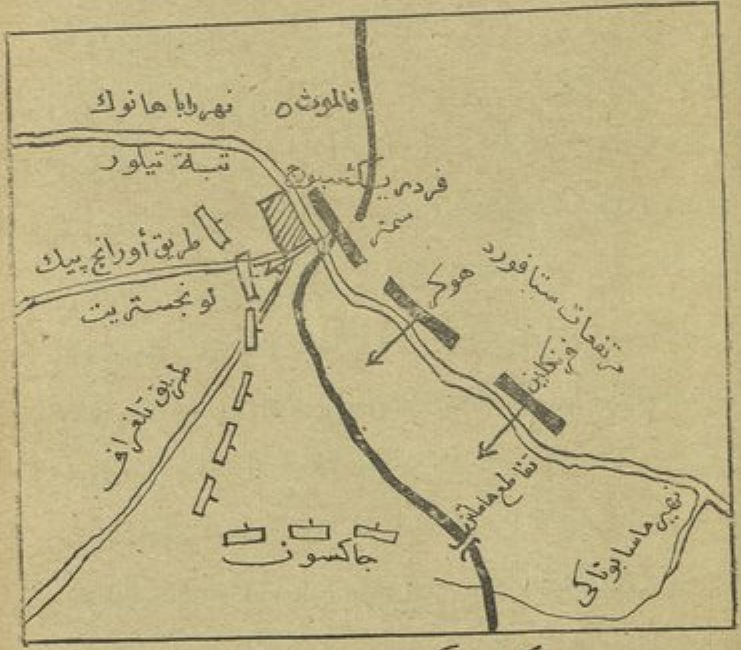
ومن الصعب أن نعرف السبب فى عـــدول لى عن رأيه ولم تكن هار برزفيرى قد سقطت بعد ، فقد سقطت يوم ١٥ سبتمبر ، ولم يكن ذلك هو السبب على كل حال ، فقد كان يستطيع عبور النهر يوم ١٦ ، وقد عزا ذلك إلى أسباب عديدة بينها إقامة معابر على الرابيدان والراباهانوك لتوصيل التموين ، ولكن فولر يعتقد أن السبب الحقيق هو عدم اكتراث لى بعدوه ، واستبعاده أن يستطيع مثل هذا الجيش أن يطرده من ماريلاند ، ولم يكن هناك مايمنع من مهاجمته يوم ١٦ ، وقبل أن يصل جاكسون وينضم إليه .

وقد نشبت معركة شاربسبورج أو أنتييتام ، يوم ١٧ سبتمبر ، وكانت معركة لا لزوم لها ، وقد كلفته كثيراً ، فرغم أن اقتحامات الشماليين قد صدت ، إلا أن لى خسر ١٣٫٧٢٤ رجل ، لقد كانت هذه المعركة نتيجة للخيلاء والكبرياء الشخصية ، كما أسلفنا ، فقد رفض لى مساء ١٧ سبتمبر أن يعبر البوتوماك استجابة لنصيحة لونجستريت ، و.د.ه. هيل ، وهود ، بل لقد اقترح فى خطاب إلى الرئيس ديفيز ، أن يتقدم إلى هاجرزتاون ، ويهزم العدو هناك ، ناسيا أنه فقد ربع قوته

عند شارپسبورج ، وقد انسحب جيش شمال فرچينيا ، كسيرا هزيلا وعبر الپوتوماك ليلة ١٨ سبتمبر وانسحب إلى ونشستر حيث جمع لي فلول جيشه .

معركة فريدريكسبورج (١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢)

وكان من الجلي بعد ذلك أن ماك كليللان سيلاحقه قبل أن يستعد، ولكن فكرة تفوق لي العددي كانت تعوقه ، فلم يعبر الپوتوماك حتى



معركة فردريكسبورج (١٢ ديسمبر ١٦٨٢)

٢٦ أكتوبر فقد عبره على رأس ١١٠٫٠٠٠ رجل ، وفى ٧ نوفمبر تحرك إلى قرب وارنتون حيث حل محله الجنرال بيرنسايد.

وقد تحرك لى إلى فرانت رويال ومعه فيلق لونجستريت ، تاركا فيلق جاكسون فى ونشستر ، ثم تحرك إلى كولبيبر كورت هاوس ، وقد كتب إلى وزارة الحرب أنه نظراً إلى ضعف جيشه ، لا يستطيع الهجوم ، وهو لذلك سيعمد إلى المناورة ، والواقع أنه كان غير قادر على ذلك أيضاً ، نظراً لأن جيشه كان غير مجهز.

كانت خطة بيرنسايد أن يترك سكة حديد اورانج ـ الأسكندرية وأن يرتكز إلى قاعدته فى آكوياكريك ومن فريد ريكسبورج يسير مباشرة إلى ريتشموند ، ولقد علق لنكولن على تلك الخطة عندما عرضت عليه ، بأنها تحتاج إلى سرعة التنفيذ حتى يكتب لها النجاح ، وعلى بيرنسايد أن يسرع بالتحرك وإلا ..؟

ولقد صمم على تلك الخطة يوم ١٤ نوفمبر ، ولكن يوم ٢٤ أقبل وبيرنسايد لايزال فى انتظار كبارى الاقتحام ، ولم يبدأ جيش بيرنسايد فى عبور الراپاهانوك إلا فى ١١ ديسمبر.

وكان ذلك الوقت الذى استغرقه أكثر من اللازم ، لكى يضع لى خطته المضادة ، وفى نوفمبر أمر لونجستريت بالتحرك من كولبيبر كورت هاوس إلى فريدريكسبورج ، واستدعى جاكسون لينضم

اليه يوم ٢٦ رغم اعتراض حكومة رينشموند ، فلحق به يوم ٣٠ نوفمبر أى بعد أن وصلت كبارى الاقتحام إلى بيرنسايد بخمسة أيام ، و بعد ذلك بأربعة أيام تم انشاء خط حديدى بين آ كويا كريك وفالموث ، وكان من الخطأ أن يبطىء فى تجميع جيشه فى مثل هذه الظروف ، وهكذا فى نهاية نوفمبر واجه الجيشان بعضهما على نهر الراباهانوك وعدد قوات بيرنسايد ١٢٢٠٠٠ رجل ، وقوات لى ٧٨٥٠٠ رجل .

وكانت خطة بيرنسايد أن يعبر النهر تحت فريدريكسبورج بقليل بينما تستره نيران المدفعية القوية المتجمعة على مرتفعات ستافورد ، بحيث يكون فيلق سمنر فى اليمين ، وفيلق هوكر فى الوسط وفيلق فرانكلين فى الشمال ، وأن يزحف على لى الذى كان يحتل موقعا منيعاً ، يمينه عند تقاطع هاملتون الواقع شمال ماسا بوناكس كريك بقليل ، ويساره تبة تيلور التى تواجه فالموث ، وكان ذلك الموقع مستعصياً على الهجوم بأى كيفية ، ولكى تزيد الأمور سوءا ، وقع اختيار بيرنسايد على جناح لى الأيسر ، وهو أقوى مواقع العدو ، ليكون غرضاً لهجومه الرئيسى الحاسم .

وفى اليوم الثانى عشر من ديسمبر ، تم فتح الشماليين للمعركة على الضفة اليمنى لنهر الراباهانوك وكان من رأى چاكسون وستيوارت ، أن

يقوموا بهجوم عام مفاجىء على العدو ، تحت ستر الضباب ، ولكن لي عارض ذلك الرأى ففضل القتال من خلف خنادقه على المخاطرة بالقيام بمثل هذا الهجوم .

وفى اليوم الثالث عشر من ديسمبر بدأ هجوم الشماليين ، فتقدموا فى نظام بديع من الكتل المتراصة وكأنهم فى طابور استعراض وليسوا فى معركة ، فتلقوا الترحيب من رصاص الجنوبيين الذين يحتلون خنادقهم ، وفشلت جميع محاولات الشماليين لاقتحام المواقع ، وفقد بيرنسايد من رجاله ١٢و٦٥٣ رجل ، بينما كانت خسائر لي ٥و٣٠٩ رجل ، لقد كانت معركة فريدريكسبورج معركة سهلة بالنسبة إلى لي ، وقد فشل هجوم بيرنسايد بينما ظل لي محتفظاً بثلثى قوته فى يده ، ولكنه مع ذلك لم يقم بهجوم مضاد فى مساء يوم ١٣ ، وطلع صبح ١٤ ديسمبر ولم يحدث هجوم ما ، فاقترح جاكسون القيام بهجوم ليلى على العدو ، ولكن اقتراحه قوبل بالرفض .

وفى الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٨٦٤ ، عبر بيرنسايد النهر مرة أخرى ، وعاد إلى معسكراته عند فالموث ، وقد تألم لي كثيراً لتمكن الشماليين من الفرار ، فقد ضاعت منه فى هذه المعركة الفرصة الوحيدة لإنهاء الحرب ، كما ضاعت هذه الفرصة نفسها على ماك كليللان صباح يوم ١٨ سبتمبر عند انتيتام .

الباب الثالث

معارك عام

١٨٦٣

الفصل الأول

براج وجرانت فى الغرب

بينما كان لى يصنع سمعته ومجده فى الشرق ، تلك السمعة التى أذهلت حكومة الشمال ، وشلت تفكيرها الاستراتيجى ، حدثت سلسلة من المعارك فى الغرب ، انتهت بالفشل ، لأنه لم يكن هناك عقل محرك ·

لقد فتح الغرب أبوابه أمام هالليك ، عندما احتل كورينث ، ولكنه لم يصنع شيئاً ، وبدلا من أن يتبع عدوه ليرغمه على القتال ، أو يطرده من ڤيكسبورج ، أخطر واشنجطون بأن الطريق خال الآن أمام بويل وجيش أوهيو ، ليتقدما إلى شطانوجا ، ومن ثم يطرد الجنوبيون من شرق التنيسى ، وقد وافقت واشنجطون على ذلك ، ولم يصنع جيشاه الآخران : جيش التنيسى بقيادة جرانت وجيش الميسيسبى بقيادة بوب شيئاً ، الا اصلاح خط ممفيس ـ شارلستون الحديدى ، ولكن لطف الله حل بالشماليين ، فقد استدعى هالليك ـ كما أسلفنا ـ إلى واشنجطون فى ١١ يوليو ليستلم القيادة العامة .

وأخيراً تسلم جرانت — الذى كان مبعداً منذ معركة شيلوه — قيادة جيشى التنيسى والميسيسبى وكان واجبهما كما أمر هاليك ، أن يبقيا احتياطاً لبويل ، إذا احتاج إلى مزيد من القوات ، وقد أصاب جرانت القلق من جراء البطالة التى يعانيها جيشاه ، فطلب الإذن من هاليك فى ١٠ يوليو ليتحرك ضد پان دورن الذى كان فى ذلك الوقت فى هولى سبرنجز ، وجراند چانكشان ، فوافق هاليك على ذلك وفى ١٨ سبتمبر والأيام ٢-٦ أكتوبر ، أحرز انتصارين كبيرين على قوات الجنوب فى لوكا ، وكورينث ، وكان اشتباك كورينث ضربة قاصمة للعدو لم يحسوا بها فى الشمال كما أحس بهـا العدو فعلا .

ولقد كان انتصار الأميرال ديڤيز فى معركة ممفيس فى ٦ يونيو عام ١٨٦٢ كسباً لقضية الشمال ، فقد جعل السيطرة للشماليين على الميسيسبى الأعلى ، كما أن احتلال قوات الجنرال بتلرلنيو أورليانز فى أول مايو من ذلك العام فتحت لهم مصب ذلك النهر ، كما أن انتصار جرانت فى كورينث أجبر الجنوبيين على الانسحاب جنوبا تاركين الطريق مفتوحا إلى ڤيكسبورج ، أقوى نقطة باقيـة لهم على الميسيسبى ، وهى حلقة الاتصال الرئيسية بين الولايات الجنوبية شرقى النهر وغربه ، وكان ينبغى على هاليك أن يتقدم إلى ڤيكسبورج فى يونيو ، وقد أيد جرانت هذه الفـكرة وطلب من هاليك أن يرسـل بعض الأمداد الصغيرة إلى

ممفيس ، حتى يستطيع التقدم عن طريق الميسيسبي الرئيسى ، ويخلى فيكسبورج ، وقد وافق هالليك على ذلك فى ٤ نوفمبر ووعد جرانت بارسال مدد من ٣٠٠٠٠ رجل.

وعند وصول هذه الأنباء السارة ، كان الموقف الذى واجهه كما يلى:

كان براج — الذى خلف بورجارد في يونيو — يواجه بويل فى شرق التنيسى ، وكان الخطر على بويل فى تعرض جنبه الأيمن ، فانه حتى لو استولى على شطانوجا ، فان حركة تطويق من الغرب ، على آلاباما الشمالية كفيلة بطرده منها بسهولة ، وقد أدرك جرانت أن معركته المقبلة تتوقف على قدرة بويل على التقدم ، وأن ذلك التقدم تتوقف سلامته على تحرك جيشه جنوبا ، إلى فيكسبورج لأن ذلك سيضطر الجنوبيين إلى سحب قوات من أمام بويل ، وقد تأكد ذلك يوم ٦ نوفمبر ، حينما أخطر شيرمان بأنه ليس من الممكن له أن يضع أى خطة حتى يتأكد مما ستفعله بقية جيوش الشمال ، وليس جيش بويل فحسب ، ولكن جيش بيرنسايد أيضاً ، فقد رأى من الواجب أن يتعاون الجميع ولذلك طلب من هالليك أن يخطره بجلية الموقف ، فكان الرد على طلبه أن يحارب العدو عندما يريد .

وسنعود الآن إلى بويل لنرى ماذا يصنع ، لأن فشله فى قتاله كان مقدرا لكى يحل جرانت محله فى القيادة .

لما خلف براج الجنرال بورجارد فى ٢٧ يونيو ، وجد معظم جيشه عند توپيلو ، وكانت مقدمة بويل قد وصلت إلى ديشرد ، على بعد ثلاثين ميلا شمال بريدج پورت ، حيث أغار فورست على مواصلاته عند مورفريسبوروه ، واضطره إلى التوقف ، وعندئذ صمم براج على استرداد شرق التنيسى بغزو تنيسى الوسطى وجنوب كنتوكي ، وقد كانت خطته غاية فى الجراءة ، فقد كان يريد أن يقوى كيربى سميث عند ثغرة كومبرلاند ثم يوجهه إلى لويسڤيل ، قاعدة عمليات بويل ، بينما يتقدم هو إلى شطانوجا .

وللمرة الثانية توقف بويل مضطراً إثر غارة على الخط الحديدى بين ناشڤيل وباولينج جرين ، عند جاللاتين ، وفى هذه الأثناء كان كيربى سميث متقدما عند ثغرة كومبرلاند ، دافعاً أمامه قوة العدو الضعيفة التى تواجهه ، وفى ٣ سبتمبر أقام مركز رئاسته فى لكسنجتون، ومن هناك هدد لويسڤيل وسنسناتى هذا بينما تحرك براج إلى اسبرطة ، وكان بويل قد جمع قواته عند مورفريسبوروه ، وبدأ السباق إلى الشمال ، فبويل يتقهقر إلى باولينج جرين بينما براج متقدم إلى جلاسجو ، وبدلا من أن يجبر براج بويل على التراجع ، ويأتى بكيربى سميث خلف مؤخرته ، ضرب بالاستراتيجية كلها عرض الحائط ، وصمم على أن

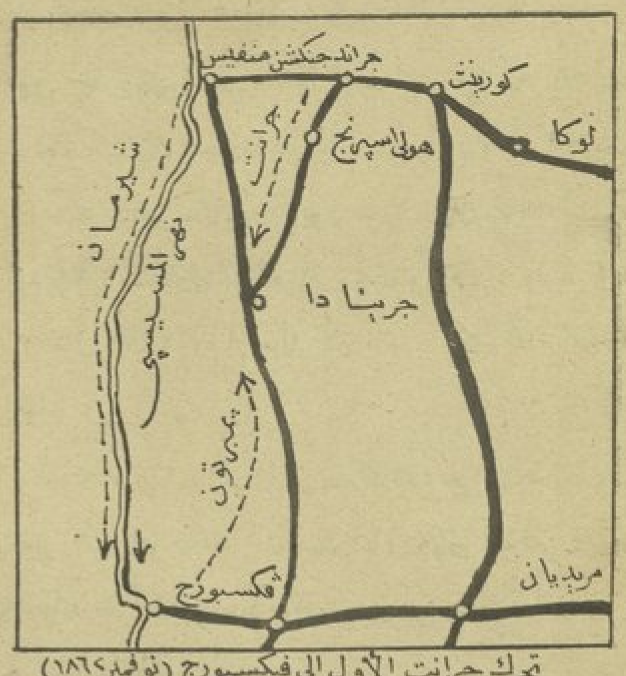
ينقض على كيرنى سميث ، لا للدخول فى معركة ، ولكن ليفتح عاصمة ولاية فى فرانكفورت ، وهكذا أفلت بويل وتقهقر إلى لويسفيل .

وفى أول أكتوبر تحرك بويل من لويسفيل ، وأرسل بقوة بسيطة فى اتجاه فرانكفورت لتحمى جنبه لأيسر ثم تقدم إلى باردستاون، مما أجبر براج على التقهقر ، وفى ٨ سبتمبر حدث تصادم عند پريڤيل ، ولكى يتجنب براج التورط فى معركة مع قوة تفوقه عددا ، انسحب إلى شرق التنيسى ، وفى ٣٠ أكتوبر حل الجنرال روز كرانز محل بويل واستبدل اسم جيش أوهيو باسم جيش كومبرلاند .

وقد صمم روز كرانز على عدم التقدم جنوبا وقد أقبل الشتاء . إلى أن يصلح الخطوط الحديدية ويعيد انشاء مستودعاته ، وقد تم له ذلك فى ٢٦ ديسمبر فتقدم من ناشڤيل ، وأصبح وجهاً لوجه مع براج عند مورفريسبوروه ، وقد نشبت بينهما معركة يوم ٢٦ ديسمبر ، ورغم أن النتائج لم تكن حاسمة، إلا أن خسائر براج كانت كثيرة حتى أنه صمم على الانسحاب إلى شطانوجا ، حيث ذهب إليها فى أوائل الشتاء.

وبينما كان روز كرانز منهمكا فى إعادة تنظيم جيشه ، كانت تحاك ضد جرانت دسيسة دنيئة ، وقد أدمج فيها لنكولن ، فقد نسبت انتصارات لوكا وكورينث إلى روز كرانز ، بينما هى ترجع فى الواقع الى

استراتيجية جرانت ، ولهذا حل روز كرانز محل بويل ذلك الجندى القدير وفى الوقت ذاته كن الجنرال ماك كليرناند وهو أحد مرؤسى جرانت جنرالا سياسياً ، وكان يضغط على المسئولين فى واشنجطون ليضعوه على رأس قوة تتجمع عند ممفيس ثم تتحرك على الميسيسبى لتهاجم فيكسبورج ، وقد سمع جرانت بذلك عن طريق الصدفة ، وأدرك أن ماك كليرناند لا يصلح لهذه القيادة المنفصلة ، فصمم على الاسراع بالتقدم إلى المعركة التى كان يستعد لها فى ذلك الوقت .



تحرك جرانت الأول الى فيكسبورج (نوفمبر ١٨٦٢)

ففى ١٣ نوفمبر كان قد أخطر هالليك بأن فرسانه قد دخلوا هولى سبرنجز، ولكنه لن يتقدم جنوبا حتى يتم اصلاح خطوط مواصلاته ، وقد صمم الآن على التحرك بأسرع ما يمكن ، فأرسل شيرمان بطريق النهر من ممفيس إلى فيكسبورج ، بينما تقدم هو من جراند جانكشان، وكانت خطته باختصار أن يجذب بمبرتون الموجود فى جاكسون إلى جرينادا ، وبذلك يضعف قوات الجنوبيين فى فيكسبورج ، ويسهل على شيرمان الهجوم .

وفى ١٣ ديسمبر عند ما أصبح جرانت على ٦٠ ميلا جنوبى جراند جانكشان ، رحل شيرمان على رأس ٣٢٫٠٠٠ رجل ، ونزل عند منحنى ميليكن يوم عيد الميلاد ٢٥ ديسمبر ، وفى يوم ٢٩ ديسمبر دخل معركة شيكاسوبلاف ، وقد ارتد ، وفى ٣ يناير ١٨٦٣ وصل ماك كليرناند ، وكان أقدم منه فتسلم منه القيادة .

وأخذت صعوبات التموين تتزايد كلما تقدم جرانت جنوبا ، ولما كان يقدر أهمية التموين فقد أنشأ مستودعا فى هولى اسبرنجز ، وأخطر هالليك بأنه نظراً لطول خط مواصلاته ، فلن يستطيع التقدم أكثر من جرينادا إلا إذا وصلته امدادات .

ولقد جزع الرئيس چيفرسون ديفيز لهذه التحركات ، فأصدر أمره إلى الجنرال چوزيف چونستون بتولى قيادة جميع قوات الجنوب ، الموزعة من بلوريدج إلى نهر الميسيسبى ، فلما وصل چونستون إلى شطانوجا أصدر أمره إلى براج أن يرسل قوة من الفرسان لتقطع مواصلات جرانت ، وكانت النتيجة أن تقدم ڤان دورن إلى هولى سبرنجز يوم ٣٠ ديسمبر ، وفاجأ الحامية ودمر المستودع .

وقد تسببت هذه الغارة فى قلب خطة جرانت رأساً على عقب ، وكان يخشى كما أسلفنا من عدم كفاءة ماك كليرناند ، ولذلك طلب من هالليك منحه السلطة فى التراجع إلى ممفيس ، وتسلم قيادة حملة النهر ، ولما كان مجبراً الآن على البحث عن مؤن ، فقد وجد أن الولاية غنية بمواد التموين وأنه يستطيع أن يندفع إلى ما وراء ڤيكسبورج ، وقد بنجح فى الاستيلاء عليها ، وفى ١٠ يناير رجع إلى ممفيس ، وفى ٣٠ يناير وصل الى يانجس پوينت عند مصب نهر يازو ، حيث تسلم القيادة من ماك كليرناند .

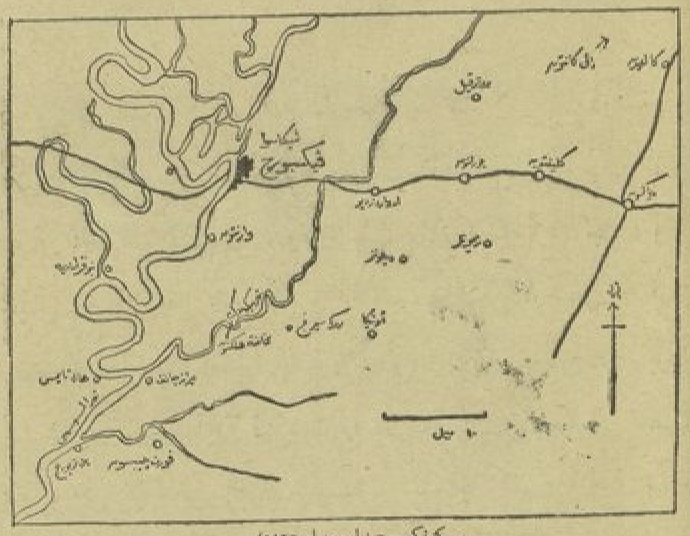
الفصل الثانى

معركة ڤيكسبورج

كان استقرار جرانت عند يانجس بوينت مثار القيل والقال ، وقد فتح المجال أمام الحاقدين عليه ليطلبوا تنحيته عن القيادة ، ولكن جرانت كان لا يستطيع الهجوم على ڤيكسبورج بالمواجهة ، كما أنه لم يستطع إنشاء قاعدة جنوبى المدينة ، حتى انقطعت أمطار الشتاء ، ولكن ماذا يفعل فى هذه الشهور الأربعة أو الخمسة ؟ انه لا يستطيع أن يبقى ساكناً ، فقرر أن يقوم بسلسلة من العمليات شمالى ڤيكسبورج ، لا بقصد المحافظة على الروح الهجومية عند قواته فقط ، بل لكى يشغل بمبرتون أيضاً .

وبعد مدة طويلة ، فى مارس ١٨٦٣ ، بدأت المياه تنخفض عند ضفة الميسيسبى من ناحية لويزيانا فصمم جرانت على التحرك جنوباً ، وقد عارض شيرمان وماكفرسون ولوجان وواسون فى ذلك التحرك معارضة شديدة ، وأكد شيرمان أن الطريقة الوحيدة للاستيلاء على ڤيكسبورج ، هى العودة إلى ممفيس والتحرك على طريق الميسيسبى الرئيسى ، ولكن جرانت وجد ذلك مستحيلا من الناحيتين السياسية

والاستراتيجية ، فأصر على خطته ، ولكى يخدع عدوه عن هذه الخطة ، حرك فيلق شيرمان ١٥٠ ميلا شمال ڤيكسبورج ، وأرسل الكولونيل جريرسون فى غارة على مسافة ٦٠٠ ميلا خلال الميسيسبى، من لا جرانج إلى باتون روج ، وقد قتلت هذه القوة ١٠٠ وأسرت ٥٠٠ من الجنوبيين فى مقابل ثلاثة قتلى وسبعة جرحى .



معركة ڤيكسبورج (مايو - يوليو ١٨٦٣)

وفى ليلة ١٦ ابريل نجح الأدميرال بورتر فى تمرير قافلة رغم بطاريات ڤيكسبورج ، وفى يوم ٣٠ بعد أربعة شهور من الصراع مع المطر والنهر والوحل ، نزل جرانت بجيشه على الضفة الشرقية للميسيسبى

عند بروئز بورج ، وهذه هى اللحظة الحاسمة التى كان جرانت يتمناها، فقد أصبح مع عدوه على أرض صلبة ، وعلى ضفة واحدة من النهر .

وفى الساعة ٣٠٠ يوم أول مايو ١٨٦٣ ، زحف فيلق ماك كلير نائد على بورت جيبسون ، حيث هزم قوة للجنوبيين ، ثم طردها يوم ٣ مايو بطريق نهر بيج بلاك ، وذلك بينما أنشأ جرانت قاعدته فى جراند جالف .

وكانت المشكلة التى تواجهه الآن من أعقد المشاكل ، فان فيكسبورج شديدة المناعة ، وهى تسيطر على خط تموينه الوحيد إن لم تكن تقفله، وهذا الخط هو الميسيسبى ، وكان جيشه يبلغ ٥١٠٠٠ رجل ، وكان جيش بمبرتون يقل عنه بعشرة آلاف ، ولكن فيكسبورج كانت متصلة بالداخل بالسكة الحديدية ، ومعنى ذلك أن هذا العدد سيزداد بسرعة ، وكانت مهاجمة فيكسبورج من الجنوب خارجة من حسابه تماماً ، حتى لا يعطى القوات المعسكرة عند جاكسون فرصة مهاجمة مؤخرته ، وقد صمم جرانت أن يضرب فى النقطة الحاسمة وهى مؤخرة فيكسبورج ، وذلك بأن يزحف على جاكسون ويقطع خط تموين المدينة فاذا فعل ذلك واحتفظ فى الوقت ذاته بخط تموينه إلى جراند جالف ، فان ذلك سيستنفد معظم قوته ، ولذلك صمم جرانت مستفيداً من

دروس هولى اسبرنجز — على اتخاذ أخطر خطوة فى تاريخ الحرب الأهلية وهى أن ينفصل عن قاعدته ، وأن يفنى قوات مؤخرة فيكسبورج ، ثم يحاصر المدينة أو يستولى عليها .

ولقد أذهلت جرأة هذه الاستراتيجية بمبرتون ، ولعلها قد تذهل القارىء أيضاً ، لأن معركة شانسلورزفيل المدمرة ، كانت قد بدأت يوم ٢ مايو ، ولو علمت واشنجطون بخطة جرانت ، إذن لمنعتها ، وقد حدث فعلا أن هالليك حينما علم بهذا التحرك أمر جرانت بالعودة ، ولكن لحسن الحظ أنه لم يكن هناك خط تلغرافى صالح جنوبى القاهرة ، وكان جرانت قد بدأ زحفه فعلا قبل أن يصله ذلك الأمر .

وكانت ميزة جرانت أنه إذا حزم رأيه على أمر تحرك بسرعة البرق فاستدعى إليه شيرمان ، وحمل فى قطاراته تعيينات خمسة أيام ، وترك حراسة على نهر بيج بلاك ، وفى ٧ مايو تقدم إلى ريموند ، حيث هزم قوة صغيرة بقيادة الجنرال جريج ، وفى يوم ١٤ مايو كانت جاكسون فى يديه ، وكان چوزيف چونستون ينسحب الى كانتون ، بينما بمبرتون يناور ضد خط مواصلات جرانت الذى لا وجود له ، لكى يجبره على العودة لو قابله .

وقد انحرف جرانت إلى الغرب من جاكسون ، حيث قابل بمبرتون يوم ١٦ مايو عند شامبيونز هيل ، وهزمه ولكن تأخر ماك كليرناند أعطى بمبرتون الفرصة ليتجنب الفناء ، وفى اليوم التالى عبر رد نهر بيج بلاك إلى فيكسبورج ، وفى يوم ١٨ مايو وصل جرانت إلى والنوت هيلز شمال القلعة مباشرة . وفى اليوم التاسع عشر أصدر جرانت أمره بالقيام باقتحام عام على دفاعات المدينة ، معتمداً على انهيار الروح المعنوية للعدو ، ولكن هذا الاقتحام فشل ، وشن اقتحاما آخر يوم ٢٢ ولكنه فشل كسابقه ، ولذلك أعلن الحصار المنظم على المدينة وأقام صفاً من المتاريس من هاينز بلاف إلى وارنتون ، وصفاً من الطوابى والتحصينات من نهر ياوز إلى نهر بيج بلاك ، وفى الساعة ١٠٠٠ يوم ٤ يوليو ١٨٦٣ أسلم بمبرتون القلعة وبها ٣١٠٠٠ رجل ، وهكذا انتهت واحدة من أشهر معارك التاريخ .

ولقد كانت الخسائر فى تلك المعركة عجيبة ، فبين ٣٠ ابريل ، ٤ يوليو بلغت خسائر جرانت ١٢٤٣ قتيلا ، ٧٠٩٥ جريح ، ٥٣٥ مفقوداً ، ومجموعها جميعا ٨٨٧٣ رجل ، بينما خسر العدو ١٠٠٠٠ قتيل ، وأسر منه ٣٧٠٠٠ رجل بينهم ٣١٥٣ ضابط منهم ١٥ جنرالا ، واستولى كذلك على ٧٣ مدفعاً .

كانت خسائر الشماليين طفيفة كما رأينا ، وذلك راجع إلى استراتيجية جرانت الجريئة ، التى تعتمد على المفاجأة ، والتى حققتها المفاجأة وحدها ، ففى الثمانية عشر يوما الأولى لعبوره الميسيسبى ، أنشأ قاعدته عند جراند جالف ، ودخل خمسة معارك هى پورت جيبسون وريموند ، وچاكسون ، وشامبيونزهيل ، ونهر بيج بلاك وسار مائتى ميل حاملا معه تعيينات خمسة أيام فقط ، معتمدا فيما بعد ذلك على الموارد المحلية ، وهذا يعود بنا إلى أيام نابليون لنجد نفس النتائج الباهرة التى تكتسب فى وقت قصير ، وبهذه الخسائر الطفيفة .

لقد كان سقوط ڤيكسبورج ضربة قاصمة للجنوب ، وعندما استسلمت پورت هدسون إلى الجنرال بانكس يوم ٩ يوليو ، أصبح الميسيسبى خالصا للشماليين ، وبذلك حلت بالجنوبيين مصيبتان : الأولى انفصال قطن الغرب عن الشرق ، والثانية تطويق منطقة السالى پورت وامكان تهديدها من الشرق فى أية لحظة .

ولكى يستفيد الشماليون من ذلك الموقف ، اقترح جرانت فى ١٨ يوليو أن تقوم حملة من نيوأورليانز وغرضها الاستيلاء على موبيل ، ومن ثم تناور شمالا فى اتجاه مونتجومرى ، مما يضطر براج فى شطانوجا إلى تخصيص قوات لحماية مؤخرته ، ولقد كرر اقتراحه الحيوى

هذا مرتين أخريين فى أغسطس وسبتمبر ، ولكن النتيجة كانت بعثرة جيشه لأسباب سياسية بحتة ، كما حدث عقب احتلال كورينث تماما وعلى حين فجأة ، وبينما هو راقد فى فراشه ورجله مصابة ، وصله أمر من هالليك يطلب منه أن يتجه جميع الاحتياطى شمالا لاسعاف شطانوجا .

الفصل الثالث

معركة شانسلورزفيل (١ - ٤ مايو ١٨٦٣)

قبل أن ندخل فى أسباب ذلك الاستدعاء العاجل ينبغى أن نعود إلى المسرح الشرقى للحرب وأن نحيط بما حدث هناك بعد ارتداد بيرنسايد الحاسم، عند فريد ريكسبورج، ففى ٢٦ يناير ١٨٦٣ حل الجنرال جوزيف هوكر محل بيرنسايد، فانصرف إلى إعادة تنظيم جيشه بنفس الهمة التى أبداها ماك كليلان ليعاود الزحف على ريتشموند.

سنعود إلى معركة لى الخالدة، إلى معركة شانسلورزفيل، تلك المعركة التى ظهر فيها ارتباط لى وجاكسون فى أوضح وأروع صوره، تلك المعركة التى حفلت بأخطاء الطرفين هوكر ولى، وذلك نظراً لتعقد الخطتين، بالاشتراك مع تعقد مسرح الحرب مما ثقل العبء على أركان حرب الجيشين المتحاربين، لقد كانت الخطتان كما سترى بارعتين حقاً، ولكن وضع الخطط شىء وتنفيذها شىء آخر، وخصوصاً إذا كانت السيطرة صعبة فقد وزع القائدان قوتيهما فى منطقة ضيقة مليئة بالغابات حيث تصعب السيطرة على الوحدات الفرعية المنفصلة، حتى بعد تيسر اللاسلكى فى أيامنا هذه.

كما كانت هذه المعركة أيضاً من وجهة نظر الاستراتيجية الكبرى متأثرة إلى حد كبير بتغيير السياسة فى الشمال ، فقد كانت آمال الجنوب مركزة على أمل التدخل الأوربى ، ولكن هذا الأمل انهار فى أول يناير عام ١٨٦٣، عندما وقع لنكولن مرسوم التحرير ، الذى لم يقض على الرق فحسب ، ولكنه كسب إلى جانبه الرأى العام البريطانى ، وكاد تأثير هذا المرسوم على الشمال وعلى جيوش الشمال يحدث نزاعا وفتنة ، ولكنه ملأ الجنوب بالأمل ، لقد كان نصراً معنويا كبيراً ، وفى خلال هذه الدهشة تسلم الجنرال هوكر قيادة جيش البوتوماك .

كان جيش لى فى هذه الأثناء ملتصقاً بالراپاهانوك ، لا لأنه مهدد أو فقد الشجاعة أو الثقة بالنفس ، ولكن لأن النقص فى شئونه الادارية ازداد حتى أصبحت كأن ليس لها وجود ، فلا مهمات ولا تعيينات كافية للرجال ، أو حملة الحيوانات ، ففى هذه الأرض المكسوة بالغابات كان ٦٣٫٠٠٠ رجل يعسكرون وفى مواجهتهم يعسكر جيش هوكر ، الذى يتكون من ١٣٫٠٠٠ محارب قوى ، منتشرين بين فالموث وفيلتشرز شاپل .

كانت خطة هوكر جريئة ، وكان مستواها فى الجرأة من مستوى مرؤسيه ، ويبدو أنها كانت مبنية على مثل استراتيجية لى فى معركة

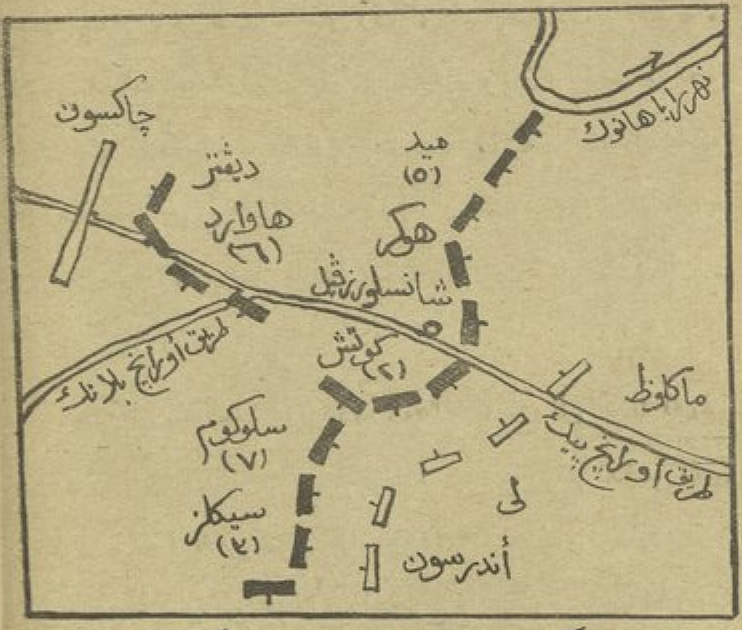
ما ناساس الثانية ، فقد قرر هوكر أن يقسم جيشه إلى جناحين منفصلين الجناح الأيسر بقيادة الجنرال سيدچويك ، وعليه أن يعبر الرپاهانوك أدنى فريدريكسبورج وأن يهدد غالبية جيش لى ويثبتها ، بينما يعبر هو والنصف الثانى أعلى فريد ريكسبورج ، وكانت هذه الخطة فى رأيه ستجبر لى على التقهقر ، وعندئذ ينضم الجناحان ويقومان بالمطاردة .

وفى ٢٨ و ٢٩ ابريل عبر جيش هوكر الراپاهانوك ، وفى يوم ٣٠ تجمع الجناح الأيمن قرب شانسلورزڤيل ، وهنا ارتكب أول أخطائه ، فأرسل فرسانه العشرة آلاف بقيادة الجنرال ستونمان ، ليغيروا فى اتجاه ريتشموند أما غلطته الثانية فقد كانت غلطة عقلية ، فقد دل تحركه على هذا النحو على أنه يقدر أن لى ، إما أن يفر منخذلا ، أو يخرج من خلف دفاعاته ويدخل فى معركة معه على أرضه هو حيث ينتظره الفناء الكامل .

لقد كان يعلم القليل عن عدوه ، وذلك مما قاده الى الهلاك فان لى يوم ٢٨ ابريل عند ما عبر سيد چويك ، احتل الموقع الدفاعى الذى احتله فى موقعة فريد ريكسبورج ، ويوم ٢٤ بدأ يقترب من يساره ، فقدر أن العدو القريب من فريد ريكسبورج ، سيظل ساكناً بينما يكون الهجوم الرئيسى على جنبه ومؤخرته ، وعلى ذلك صمم على تخصيص قوة

كافية للاحتفاظ بالخط ، و توجيه الضربات إلى القول المتقدم ببقية القوة.

وفى أول مايو تقدم الجانبان ، ولكن هوكر عندما علم بتحرك لى الساعة ١٠٠٠ أوقف تقدمه وانسحب فى اتجاه شانسلورزفيل . وركب لى فى الحال إلى الجبهة والتقى بجاكسون على الطريق ، وقد تلقى تقريراً الساعة ٢٢٠٠ يقول إن جبهة هوكر منيعة ولا يمكن مهاجمتها فشرح لجاكسون خط تحركه على الخريطة وأخطره بأن ستيوارت وفرسانه



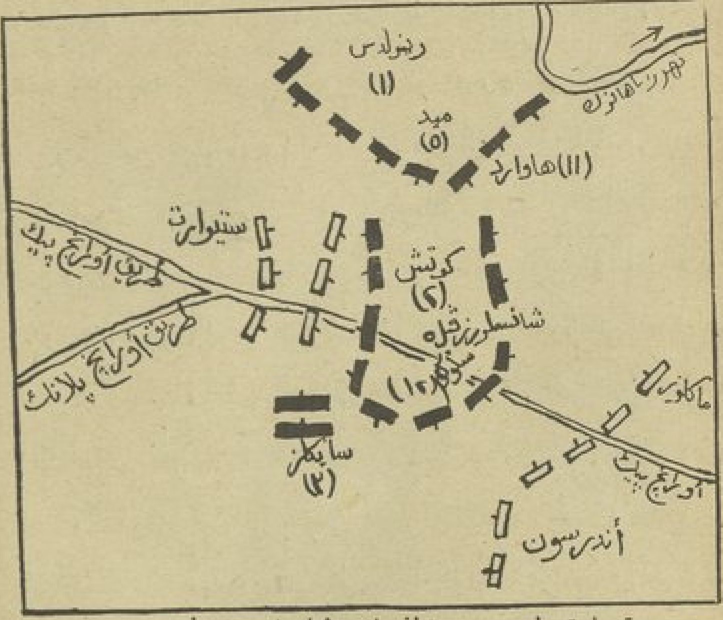
هجوم جاكسون عند شانسلورزفيل (١ - ٤ مايو ١٨٦٣)

سيسترون تحركهم ، وقد وعده جاكسون بتحريك قواته الساعة ٤٠٠ .

فما هو التحرك الذى قرره لى ؟؟

لقد قرر أن يترك ١٣٫٠٠٠ رجل بقيادة إيرلى لتثبيت سيدچويك أمام فريد ريكسبورج ، أما الباقون وهم ٤٦٫٠٠٠ رجل فقد صمم لى على تثبيت هوكر بقواته البالغة ٧٢٫٠٠٠ رجل بعدد قليل هو ١٤٫٠٠٠ رجل ثم يتحرك جاكسون ومعه ١٢٫٠٠٠ رجل عشرة أميال أو تزيد حول مواجهة هوكر وجنبه الأيمن ، وينقض على مؤخرته إلى اليمين ، وهذه الخطة شبيهة بخطة الروس والنمساويين ، فى أوسترليتز ، ولكن لى قدر أن هوكر ليس بنابليون ، وإلا لكان هذا التقسيم فى القوة من أجرأ التصرفات فى تاريخ الحروب فقد كان جيشه منقسماً إلى ثلاثة أقسام : يمينه وكان آمناً بدرجة كافية لأنه كان فى خنادق صخرية ويستطيع عند اللزوم أن يتقهقر إلى ريتشموند ، وكان يساره قويا بدرجة تجعله يعتمد على نفسه ، أما وسطه فكان ضعيفا لدرجة أن هوكر لو كان لديه الكفاية من الفرسان لكان قد اكتشف هذا الضعف ، ولأباد هذه القوة ولكن لى كان على حق فى مخاطرته فقد نفذها بحكمة ، فقد كان يعلم أن ستونمان بعيد ، وقد تحقق لديه أن الغابة تستر جراته وتحميها ، فلم تكن هذه معركة أوسترليتز أخرى ، ولكنها كانت مجرد مصيدة .

وحوالى الساعة ٠٧٠٠ . يوم ٢ مايو رحل جاكسون متأخرا عن موعده ثلاث ساعات وبدأ سيره غربا ، وعند الساعة ١٢٣٠ عندما وصل طريق أورانج پايك اشتبك بدوريات العدو ، ولم تحل الساعة ٠٩٠٠ حتى كان قوله الطويل قد احتل مواقع خلال الغابات ، وقد حذر هوكر الجنرال هاوارد الذى يقود الفيلق الحادى عشر على جانب الشماليين الأيمن ، وطلب منه حماية جنبه المعرض ، وكان ذلك التحذير



موقع استيوارت عند شانسيلورزفيل (١ - ٤ مايو ١٨٦٣)

حكيما ، ولكن عند الساعة ١٥٠٠ لما علم أن أكثر من نصف جيش لى قد رحل غربا ، كان ينبغى عليه أن يشن هجوما على وسط الجنوبيين الضعيف ، الذى يقوده أندرسون وما كلوظ وفى الوقت نفسه يأمر سيد چويك أن يتقدم بأقصى سرعة ، ويبدو أنه كان مجنونا بفكرة أن لى يتراجع فى اتجاه كلوپير كورت هاوس ، وأن عدوه طالما أنه أخلى أمامه الطريق ، فعليه أن يتقدم إلى ريتشموند .

استغرق چاكسون عشر ساعات ليقطع إثنى عشر ميلا ثم انتشر فى زوايا قائمة على يمين هاوارد ، ولم يصدر أمره بالهجوم الا الساعة ١٧١٥ ولم تفاجأ نقط الفيلق الحادى عشر الخارجية ، فقد كانوا يعلمون بأمر الهجوم ، ولكن الدفاع لم يراع فيه مبدأ العمق ، فعندما انكسر خط النقط الخارجية اندفع متراجعاً كالقذيفة ، إلى القوات غير المتأهبة فى الخلف ، ولم تحل الساعة ٢٠٣٠ حتى كانت قوات چاكسون قد تقدمت حوالى ميلين ، فخرج بنفسه ليستطلع ، ولكنه جرح برصاص رجاله جرحا قاتلا ، وكان ذلك فجيعة بالنسبة إلى لى إذ كان حظ جيش هوكر معلقا فى الميزان ، ولكن چاكسون حينما سقط لم يعرف أحد الغرض ، وتولى ستيوارت القيادة فى منتصف الليل ، ولكنه لم يكن يعلم شيئاً عن الخطة ، وفى الساعة ٣٣٠ يوم ٣ أصدر لى أمره إلى

ستيوارت بتطويق يمين العدو ، وطرده فى الوقت نفسه من شانسلورزفيل ، حتى يتمكن يسار الجنوبيين ووسطهم من الانضمام إلى بعضهما ، ولم تكن هذه عملية ممكنة فقد كان لدى هوكر ٤٣٠٠٠ رجل فى شانسلورزفيل بينما كان ٤٢٠٠٠ رجل يسترون مخاضة يونايتد ستيتس ، والواقع أنه كان ينبغى على لى أن يسحب ستيوارت فى الحال ، لأن موقفه كان خطيراً للغاية .

ولكن هوكر أيضا كان محطم الروح ، فرغم فشل هجوم



هجوم سيدجويك عند شانسلورزفيل (٣-٤ مايو ١٨٦٣)

ستيوارت الساعة ٨٤٥ . إلا أن روح هوكر كانت مليئة باليأس مثلما كان هاوارد فى اليوم السابق ، ولذلك لم يفعل هوكر شيئاً ما ، وبعد نصف ساعة أصيب بنوبة صرع ، ولما أفاق سلم القيادة إلى الجنرال كوتش ، وأصدر اليه تعليماته بسحب الجيش ، وفى الساعة ١٠٠٠ اتجه انتباه لى فجأة إلى فريدريكسبورج .

وفى ٢ مايو أصدر هوكر أمره إلى سيدچويك بالتقدم، فتقدم واشتبك مع إيرلى ، الذى كان يحتل خط خنادق طوله ستة أميال بقوة من ٩٠٠٠ رجل وهاجمه فى اليوم التالى ، وعند الساعة ١١٠٠ احتل لى مرتفعات هاريز وتبة ، بينما تراجع إيرلى بنصف قوته على طريق أورانج پايك ، وبالنصف الثانى على طريق التلغراف لأن جيشه قد انقسم فلما علم لى بتقدم سيدچويك أصدر أمره إلى ما كلوظ بأن يؤيد قوة إيرلى التى على طريق أورانج پايك ، مما سبب اشتباكا عند مرتفعات سالم ، وكانت تلك الاستراتيجية مقبولة ، ولكنها أضعفت لى عند شانسلورزڤيل ، ونبهت هوكر إلى أهمية الضغط على لى ، ولكنه لم يفعل شيئاً أكثر من تنبيه سيدچويك إلى الاحتراس لنفسه ، وفى يوم ٤ مايو عند ما وجد لى أن هوكر جامد ساكن ، أرسل أندرسون لتقوية ما كلوظ وإيرلى ، وأصبح هو مسئولا عن جناحه الأيمن ، وقد

ارتد إيرلى بعد استعادة مرتفعات مارى، كما ثبت أندرسون وماكلوظ

وقد انتهت المعركة بهذا الوضع ، لأن هوكر صمم على الانسحاب فى تلك الليلة إلى الضفة اليسرى من الراپاهانوك ، وانسحب فعلا فى اليوم التالى ، وقد خسر ٧٤٥ و١٦ رجل بينما خسر لى ٧٦٤ و١٢ رجل .

وهكذا انتهت أكبر معارك لى ، تلك المعركة التى يصعب تقديرها نظراً لأنها نشبت فى مناطق كثيفة الغابات حيث التفوق العددى قليل القيمة بالنسبة للجرأة ونظافة التحركات وسرعتها ، والواقع أنه لم تكن هناك مطاردة ولا تحطيم ولا انتصار تكتيكى حاسم ، ولو حاول لى المطاردة لكان ذلك عين الجنون ، لأن خسائر لى أكثر بالنسبة لمجموع قوته ، وكذلك بالنسبة لعدوه ، ولم تكن شئونه الادارية فى أى مرحلة من مراحل الحرب تناسب القيام بالمطاردة . ولكن البرية كانت العامل الذى يحالف لى على الدوام ، فلم تكن حصناً طبيعياً يحمى ريتشموند فحسب ، ولكنها كانت شباك العنكبوت التى تصيد أى جيش يحاول التقدم من الشمال ، ولكن لى لم يتحقق من ذلك على أية حال . إنه لم يرسم استراتيجيته على الاعتماد على المناورة ضد عدوه مرة أخرى وثالثة خلال هذه الموانع ثم يهزمه .

الفصل الرابع

معركة جيتسبورج (١ - ٤ يوليو ١٨٦٣)

لايغيب عن بالنا أن سياسة حكومة الجنوب كانت دفاعية منذ البداية ، ولكن لى لم يقتنع بتلك الفكرة فى يوم من الأيام ، ورغم أن الظروف قد أجبرته مرة ومرة على التراجع إلى شبكة البرية كما تفعل العنكبوت ، إلا أن نظره كان مثبتا على الدوام على شمال فرچينيا وكان رأيه فى ٩ ابريل أن جيش هوكر إذا استأنف الهجوم . فان أحسن الطرق لتخفيف الضغط عن چونستون و بورجارد ، هى عبور جيش إلى ماريلاند ، فلما هزم هوكر عاودته هذه الفكرة ، رغم أن الظروف قد تغيرت ، لأن جرانت كان فى طريقه إلى ڤيكسبورج ، چونستون أحوج للمساعدة منه فى أى وقت آخر .

فما هى أحسن الطرق التى تتبع حيال هذا التغيير فى الموقف الاستراتيجى ؟ كان هناك طريقان فحسب : إما التعاون مع چونستون أو إحداث توزيع يجبر حكومة الشمال على استدعاء جرانت ، وكان بورجارد من أنصار الرأى الأول ، وهو من قادة الجنوب المعدودين ،

وكان لى من القائلين بالرأى الثانى وهو — أى لى — أشهر من الأول.

لقد أدرك بورجارد بوضوح أن النقطة الحاسمة فى الحرب تقع فى الغرب ونصح بالقتال فى تنيسى وكنتوكي ، لانقاذ وادى الميسيسبى ، وفيكسبورج ، وأن تسحب إمدادات قوية من وقت لآخر من جيش شمال فرجينيا لهذا الغرض ، ولكن لى كان يفكر على نحو آخر ، لأنه كانت تسيطر عليه فكرة تهديد واشنجطون لكى ينقذ شمال فرجينيا لقد كان من عيوب قيادته أنه لم ينظر إلى الحرب ككل .

وفى ٨ يوليو كتب الى سيدون وزير حربية الجنوب يشرح له مضار التزام خطة الدفاع ، وبعد ذلك بيومين كتب إلى الرئيس جيفرسون ديفيز يطلب منه تشجيع حركة أنصار السلام فى الشمال ، وكان لا يزال يأمل هو والرئيس ديفيز فى معاونة أوربا ، وهذا هو السبب فى تفكيره فى إنهاء المسألة بغزو الشمال ، مما سيثير أهل الشمال فعلا ، لقد كان ديفيز وربما لى أيضا ، يجهلان أن مرسوم تحرير العبيد الذى أصدره الرئيس لنكولن ، قد قضى على فكرة التدخل الأوروبى إلى الأبد .

وفى ١٠ يونيو تلقى لى ردا من سيدون ، يوافقه فيه على رأيه فى وجوب القيام بجيشه بتحركات تعرضية ، وبناء على ذلك عبر لى

البوتوماك ، يوم ٢٣ يونيو دون أن يعلم بذلك ستيفنس نائب رئيس الجمهورية .

وكان ستيفنس يريد المفاوضة لتحقيق السلام ، وكان يرى بحق أن هجوم لى سيقوى أنصار الحرب فى الشمال ولن يضعفهم ، ولكن سيدون كان يظن أن إقبال لنكولن على السلم سيزداد إذا هدد لى واشنجطون بدلا من أن يظل جيشه خاملا على ضفاف الراباهانوك ، لقد كان ستيفنس من أقوى أنصار فكرة التزام لى خطة الدفاع ، وإرسال مدد قوى لمساعدة جونستون ضد جرانت عند فيكسبورج .

وبذلك تجمعت أسباب المعركة الآتية وتأكدت ، فهى من أجل إنقاذ فيكسبورج ، وهى لمنع هوكر من عبور الراباهانوك ، وهى لجذب أنظار أوربا واستجلاباً لتدخلها ، وهى لاجبار الشمال على تقبل شروط السلم ، وهى فى النهاية بسبب تصميم لى على تحرير ولاية فرجينيا من وجود العدو .

كانت خطة لى أن يتحرك فى وادى شناندوه ، وأن يخترق بنسلفانيا فى اتجاه شامبرزبورج ، ويورك ، أو جيتسبورج إذا سمحت الفرصة ، ثم يهزم جيش الشمال فى معركة شاملة ، ثم يدفع به عبر نهر سوسكويهانا وهكذا تخلى واشنجطون ، وكان لديه ٧٥٫٠٠٠ من المشاة و ٩٠٠٠ من الفرسان و ٢٥٠ مدفعاً .

وقد وزع مخافره على الراپاهانوك من الفرسان ، وترك فيلق هيل فى فريد ريكسبورج ، ثم تحرك بفيلقى إويل ولونجستريت إلى كولبيبر كورت هاوس فى ٣ و٤ ، وعندما صدرت الأوامر لهوكر يوم ١٣ بالتقهقر والدفاع عن مداخل واشنجطون ، استدعى هيل ، وبدأ الجيش بأكمله فى عبور البوتوماك ، عند شيپرد زتاون ، ووليامز بورت يوم ٢٣ يونيو ، وقد تم العبور بعد ذلك بيومين .

وفى يوم ٢٣ يبدو أن لى تحقق من أن الشمال لم تنحطم روحه المعنوية كما كان يفترض ، فكتب إلى الرئيس جيفرسون ديڤيز يقترح عليه أن يحرك جيشاً بقيادة بورجارد لتهديد واشنجطون من الجنوب وكرر هذا الاقتراح يوم ٢٥ لأن تقدمه قد أثار أهل الشمال وحكومة الشمال إلى حد بعيد ، ولذلك ينبغى استخدام أقصى ما يستطيعون من قوة وبالرغم من أنه قد تحقق الآن تماما من أنه قد أثار بعمله هذا متاعب لا حد لها ، إلا أنه قد ارتكب نفس الغلطة التى ارتكبها هوكر عند بداية معركة شانسلورزڤيل ، فأرسل معظم فرسانه بقيادة ستيوارت فى غارة .

وكانت أوامر لى غامضة كما هى العادة ، فقد عهد إلى ستيوارت بالأمر وأمره بأن يقوم بعدة عمليات ، فعليه الاحتفاظ بالممرات الجبلية جنوب البوتوماك ، وعليه أن يغير على مؤخرة قوات هوكر ثم يغير على

ليسبورج ويتلف مواصلات هوكر هناك ، ثم يكون بعد ذلك على يمين الجنرال إويل قرب يورك فى بنسلفانيا .

وقد تحرك ستيوارت يوم ٢٤ يونيو ، فأصطدم بفيلق هانكوك ، ثم دار حوله واستولى على قافلة عربات للعدو قرب روكفيل ، وقد أخرت هذه القافلة سيره ، مما أضاع خدماته القيمة على لى حتى يوم ٢ يوليو .

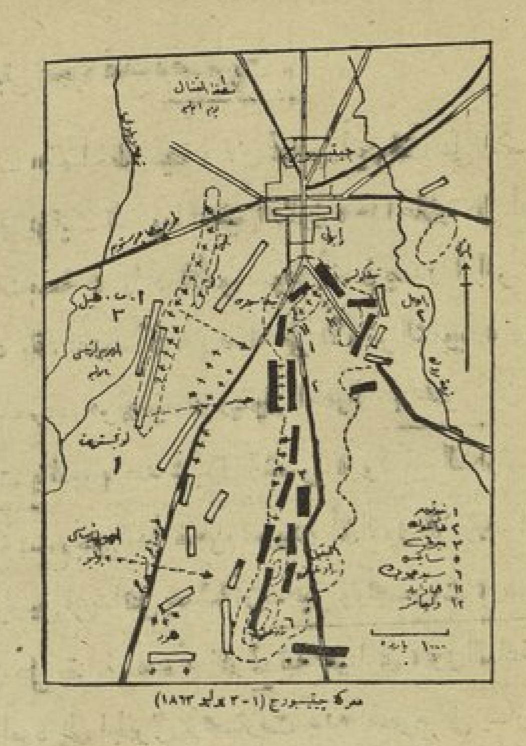
ولما سمع هوكر أن قوات الجنوب عبرت نهر البوتوماك تحرك فى يومى ٢٦ ، ٢٧ يونيو إلى فريدريك سيتى ، حيث تلقى أمراً يوم ٢٨ بتسليم القيادة إلى الجنرال ميد ، الذى صمم على التحرك إلى هاريسبورج والاستعداد للمعركة مع العدو حيث يلقاه ، وفى هذه الأثناء علم لى بعبور هوكر ، ولكن نقص الفرسان لم يمكنه من تعرف نوايا العدو ، فأمر بالتجمع قرب كاشتاون ، وأصدر الأمر إلى إويل الذى كان يعمل كمقدمة بالاتجاه مباشرة إلى كاشتاون ، أو عن طريق جيتسبورج .

وفى يوم ٣٠ أصدر ميد أوامره إلى فيلقين من فيالقه السبعة ، بقيادة رينولد وهاوارد ، أن يتحركا إلى جيتسبورج ، حيث حدث الاشتباك فى بكور اليوم التالى وهو أول يوليو ، بين فرسان الشمال وجزء من فيلق هيل ، وقد أدى ذلك الاشتباك إلى معركة بين فيلقى

هيـل واويل من ناحية ، وفيلقى هاوارد وريتولدز يعاونهما جزء من فيلق سلوكوم من الناحية الأخرى ، وكان من نتائج هذا الاشتباك أن القوات الشمالية اندفعت خلال جيتسبورج ، واحتلت موقعاً قوياً على تبة سيمنارى جنوب البلدة مباشرة .

ولم يكن لى مصمما على الدخول فى معركة بعيداً عن قاعدته بهذا الشكل ، ولـكنه وجد نفسه فى مواجهة جيش الشمال ، ومن الصعب أن ينسحب خلال الجبال بقوافله الكبيرة ، وكانت المنطقة فى الوقت نفسه غير ملائمة لجمع التموينات بينما القوة الرئيسية للعدو موجودة بها وهو يستطيع أن يزعج جماعات جمع التموين باحتلال معابر الجبال بقواته النظامية والمحلية ، وبذلك لم يعد هناك مفر من دخول المعركة وبمعنى آخر اضطره نقص التموينات وعدم وجود فرسانه إلى الدخول فى معركة هجومية بدلا من القيام بمعركة دفاعية ، لأنه إذا أراد أن يقيم فى المنطقة فينبغى عليه ألا يظل ساكناً لحظة .

وفى صباح يوم ٢ يوليو كان لدى ميد أربعة فيالق فى الخط ، وكان يساره مرتكزا على تبة راوند توب ، ويمينه على تبة سيمترى وتبة كولب وكان الموقع الذى يحتله فى غاية المناعة ، ولا يمكن مهاجمته بالمواجهة مع ضمان النجاح .



معركة جيتسبورج (١ - ٣ يوليه ١٨٦٣)

وقد اقترح لونجستريت التحرك حول يسار ميد ، وبذلك يضطره للهجوم ، ولكن لي لا يمكنه التحرك والبحث عن التموين في نفس الوقت ، وقد اضطره نقص تموينه إلى الهجوم ، وفي الساعة ١٩٠٠ يوم أول يوليو لم يكن قد وضع خطة للهجوم على تبة كولب ، وعندئذ صمم على تطويق يسار ميد ، بفيلق لونجستريت والتظاهر بالهجوم على وسطه ويمينه بفيلقي هيل وايول ، على أن يتحول ذلك التظاهر إلى

هجوم حقيقى بمجرد نجاح لونجستريت .

كانت هذه الخطة سيئة ، لأن نجاحها يتوقف على الاسراع فى الهجوم ، والتوقيت المضبوط لتحقيق التعاون ، هذا علاوة على أن قوات لى كانت متجمعة ، وزاد الأمور سوءاً أنه لم يصدر أوامر عمليات مكتوبة ، وقد اعتمد كما هى عادته على الأوامر الشفوية ، وترك كل التفصيل لتصرف مرؤوسيه ، ويقول الجنرال بندلتون أن لى أمر لونجستريت بالهجوم عند شروق الشمس ، ولكن الكولونيل تيلر يقول إنه لم يسمع بمثل هذا الهجوم ، ويبدو أن القول الأخير هو الصحيح لأن الكولونيل فريدانتل يحدثنا أن د. هيل ولونجستريت ، وهود كانوا يتشاورون على مقربة منه ، ثم زار لى تبه سمينارى ، وفى الساعة ١١٠٠ أصدر أوامره إلى الجنرال لونجستريت ببدء الهجوم على يسار العدو بأسرع ما يمكن ، ولم يكن لونجستريت مستعداً ، فان ثلاثة من لواءاته كانت لا تزال فى طريقها إلى أرض المعركة ، وكان لابد من عمل استطلاعات ، وانتخاب طريق مستور للتقدم ، ولم يبدأ الهجوم إلا الساعة ١٦٠٠ ، ورغم أنه دفع بالقوات الأمامية من يسار ميد ، إلا أنه لم يحصل على غرضه ، وهو تغيير اتجاه يسار ميد ، والواقع أن قوة لونجستريت لم تكن كافية للقيام بمثل هذه العملية ، وفى هذه الأثناء

قام إويل على يمين لى بمهاجمة يمين القوات الشمالية ، ولكن هجومه انتهى خارج الموقع .

وهكذا لم يسفر اليوم الثانى للمعركة عن نتيجة حاسمة ، لا بسبب ضعف جيوش لى فحسب ، بل لأن المعركة لم تكن فى قبضته ، ولم يكن يسيطر على العمليات ، فقد كان يكتفى بشرح الخطة إجمالا لقواد الفيالق الثلاثة ، ثم يترك لهم واجب تعديلها وتنفيذها بقدر إمكانهم ، ولكن عند ما تتحرج الأمور كيف يستطيع المرؤوسون تعديل الخطة ؟ إنهم يستطيعون « لخبطتها » ليس إلا . . . وهذا ما حدث خلال القتال فى ذلك اليوم ولكن فكرة تفوق جنوده على عدوهم تملكته حتى أنه صمم على مواصلة القتال ، و بالرغم من أن ميد قد جمع جيشه كله على مرتفعات جيتسبورج .

وقد شجع النجاح الجزئى الذى حصل عليه لونجستريت يوم ٢ يوليو ، وعلى الرغم من الارتباك الذى حدث ، شجع ذلك النجاح لى على الاعتقاد بأن العمل المنسق ، ومعاونة المدفعية لا تزال تمكنه من اقتحام خطوط ميد و كسرها ، وقد وقع عبء هذه العملية على لونجستريت ، الذى وكل إليه القيام بهذا الهجوم يعاونه إويل على يساره ، لأن قوات اقتحامه وقوتها ١٥٫٠٠٠ رجل كان ينبغى أن تسير حوالى

الليل تحت تجمعات نيران البطاريات ، هذا علاوة على ١٠٠٠ ياردة تحت نيران البنادق الطويلة .

كان الاقتحام موجهاً إلى مركز جناح ميد الأيسر ، وكان القول مكوناً من لوائين من فرقة بيكيت فى المقدمة ، ولواء فى الخط الثانى ، وخلف يمينه لواء ويلكوكس ، وكانت فرقة هيث فى قول على يسار فرقة بيكيت ، وكان الميدان مكشوفاً ، وكان جيش لى قد تعود أن يقاتل حتى هذه المعركة فى أراض تكسوها الغابات ، وكان على هود وماكلوظ أن يعاونا الاقتحام كما أمرهما لى ، ولكن لونجستريت يقول إن لى أمرهم بالبقاء فى الخط الدفاعى ، ولا يمكن القطع بصحة أحد القولين طالما أن لى لم يكن يصدر أوامر مكتوبة .

وبين الساعة ١٠٠٠ والساعة ١١٠٠ فتحت مدفعية الجنوبيين نيرانها ، وكانت كل المدافع وعددها ١٣٨ مدفعاً ، وقد وضعت بمواقع على طريق اميتسبورج ، وتبة سيمنارى لتدمر وسط ميد ، ولما أدرك الجنرال هنت قائد مدفعية ميد معنى ضرب مدفعية العدو ، وهو التمهيد للاقتحام ، أمر مدفعيته بابطال الضرب وتوفير ذخيرتها لمقابلة هجوم المشاة المنتظر ، وعند الساعة ١٣٤٠ عندما وجد الجنرال الكساندر قائد

مدفعية لى أن ذخيرته أوشكت على النفاد ، صدر الأمر الساعة ١٤٣٠ بتقدم پيكيت .

ولم تكد تتقدم المشاة على السهل حتى فتحت البطاريات التى كانت ساكنة نيرانها ، ورغم هذه النيران الشديدة واصل پيكيت تقدمه ، وبالرغم من أن عدداً من رجال الجنرال أرمستيد قد اخترقوا خط الشماليين إلا أن الاقتحام ارتد فى غير نظام ، وفشل الهجوم الكبير كما تنبأ لونجستريت ، وضاعت من لى معركة جيتسبورج . فقد كان يتوقع المستحيل ففى خلال ثلاثة أيام من ذلك القتال المريع ، فقد ٢٢٫٦٣٨ رجل ، فى مقابل ١٧٫٦٨٤ من رجال ميد .

عندما أخفق پيكيت كان ينبغى على ميد أن يقوم بهجوم مضاد ، وكان ينبغى عليه أن يعمل ترتيب ذلك بمجرد فتح مدفعية الجنوبيين لنيرانها ، فقد كان الجنوبيون فى حالة من الفوضى والبعثرة لامثيل لها فلو أظهر الشماليون أو قائدهم أى نشاط فلا أحد يدرى ماذا كان يحدث فقد كان لى ورجاله مذهولين لسير الحوادث ، ورغم ذلك فلم يحرك ميد ساكناً ، حتى عندما بدأ لى ينسحب ليلة ٤ يوليو ، ومع ذلك فلم يبد ميد أى تصرف لازعاجه ، وأقبل يوم ١٣ يوليو فأصبح لى قادراً على عبور البوتوماك جنوبا ، ومع ذلك لم يتحرك ميد ، وهكذا حدث أن

جيش شمال ڤرچينيا وجد نفسه مرة أخرى على ضفة الراپيدان .

لقد كانت معركة غريبة ، وكانت فشلا ذريعاً ، لقد كانت أسوأ معركة خاضها لى ، ولا نستثنى من ذلك معركة مالڤرن هيل ، فقد بدأت المعركة كتحرك سياسى ، ثم انتهت بفشل سياسى ، ففى أول يوليو أمل الرئيس چيفرسون ديڤيز أن يبدأ عهد سلام ، وأمل كذلك أن يحصل الجنوبيون على نصر كبير ، فيجبر ذلك الرئيس لينكولن على قبول الهدنة فى الحال ، وفى ٤ يوليو طلب ستيفنس نائب الرئيس ديڤيز مقابلة لنكولن ، ولكن لنكولن رفض هذه المقابلة ، لأن جيش لى كان مشتتاً ، وكانت فيكسبورج كذلك قد سقطت فى يدى جرانت ، ولو قبل لى خطة بورجارد ، إذن لما حدث ما كان فى جيتسبورج ، وفيكسبورج حتى تقدم هذه العروض .

وفى نوفمبر حدثت معركة غير منظمة بين ميد ولى على الراپاهانوك وتعرف بمعركة ماين ران ، ولم يحاول لى خلالها أن يقوم بتطويقه السابق لأن أركان حرب الشماليين وفرسانهم لم يسمحوا بذلك ، وبعد هذه المعركة أقبل الشتاء بخموله البدنى والعقلى .

الفصل الخامس

شيكاموجا و شطانوجا

(٢٠،١٩ سبتمبر — ٢٣ ، ٢٥ نوفمبر)

بينما كانت فيكسبورج محاصرة فى الغرب ، وجيتسبورج يدور حولها القتال فى الشرق ، كانت معركة ثالثة فى الطريق فى تنيسى ، فهناك توقف روز كرانز عدة شهور ، بعد أن صد براج عند مورفريسبورو ذلك لأن خط مواصلاته كان هدفا للغارات ، وكل غارة تعنى إضاعة الوقت فى الاصلاحات ، وقد طلب روز كرانز إمدادا من الفرسان من هالليك ، نظرا لضعف فرسانه ، وانضمام فرسان پمبرتون بقيادة ڤان دورن إلى قوة براج ، ولكن هذا الطلب رفض ، ولذلك لم يكن روز كرانز فى عجلة من أمره حتى يسرع بالتقدم جنوبا ، وذلك على الرغم من رغبة جرانت وتلهفه على هذا التقدم ، لكى يمنع براج من إرسال قوات لأمداد پمبرتون ، وبعد وقت طويل تقدم روز كرانز يوم ٢٣ يونيو ، ودفع بوحدات براج إلى الوراء واحتل ستيفنسون .

وفى الخطة الأصلية إنه كان على روز كرانز أن يتحرك إلى شطانوجا ، بينما بيرنسايد يحمى جنبه الأيسر بالتحرك إلى كنوكسفيل ،

ولكن لما صدر إليه الأمر بارسال إمداد إلى جرانت ، أصبح ذلك التحرك خارجا عن الحسبان ، وقد وجد روز كرانز أن تقدمه جنوبا سيكون غير حكيم بدون معاونة ، فلم يواصل تقدمه حتى انتهت معركة ڤيكسبورج وحتى عادت قوات بيرنسايد اليه .

وفى ١٦ أغسطس استؤنف التقدم مرة أخرى ، فتحرك روز كرانز من ونشستر ، وبيرنسايد من لكسنجتون وفى ٧ سبتمبر اضطر براج وقد تفوق عليه روز كرانز - أن يخلى شطانوجا ، فعبر التنيسى وتحرك الى لافاييت ، وبعد ذلك بيومين ، احتلت القوات الشمالية شطانوجا ، وقد ظن روز كرانز أن عدوه متقهقر بصورة نهائية فتابعه بالضغط ، حتى وصل يوم ١٢ سبتمبر الى مكان وجد جيشه فيه محصورا فى مواجهة ٦٠ ميلا ، وهناك كان براج ينتظره ، وقد حاول أن يجمع شراذمه ولكنه لم يستطع التقهقر الى شطانوجا فاضطر الى خوض المعركة ، فدخلها وانهزم يوم ١٩ اكتوبر هزيمة ساحقة عند شيكاموجا ثم ارتد الى شطانوجا حيث حوصر وقطع خط مواصلاته ، وفى هذه الأثناء احتل بيرنسايد كنوكسڤيل ورغم انه باحتلاله البلدة منع الأمداد عن براج من ڤرجينيا وشرق التنيسى بالسكة الحديد ، إلا أنه كان مهددا لدرجة كبيرة بخطر الحصار .

ولقد جعلت أخبار هزيمة روز كرانز حكومة واشنجطن فى

رعب وفزع ، وكانت النتيجة أن جرانت استدعى على عجل إلى الشمال يوم ٩ اكتوبر ، فقد أدمجت قوات تنيسى وكومبرلاند وأوهيو فى قوات الميسيسبى ، وجعلت كلها تحت قيادته ، فأبرق من ناشفيل إلى الجنرال توماس ليتسلم قيادة جيش كومبرلاند وبعد أن عمل ترتيبات سريعة للامدادات والتموين ، رحل يوم ١٩ اكتوبر إلى شطانوجا ، فوصلها مساء يوم ٢٣ .

كان المنظر الذى استقبله محزنا حقا ، فالجيش محاصر ، والجنود يكادون يموتون جوعا ، والطريق الوحيد لتموينه مدق للعربات الصغيرة يمتد حوالى ٦٠ ـ ٧٠ ميلا فى أرض جبلية ، وقد نفق عشرة آلاف من الخيل والبغال ، ولم يبق منها شىء ليجر قطع المدفعية ، أو حتى نقالات المرضى .

ولو كانت الأحوال أسوأ مما رأى لما أثر ذلك فى جرانت فى قليل أو كثير ، فكانت المشكلة الأولى انشاء خط التموين ، وقد فعل باعادة فتح الطريق إلى بريدج بورت يوم ٢٧ ، بخسائر بلغت أربعة قتلى و١٧ جريحاً ، وكانت المشكلة الثانية هى التعجيل بجلب الأمدادت فاستدعى هوكر من بريدج بورت وشيرمان من كورينث ، إلى شطانوجا .

وفى هذه الأثناء كان بيرنسايد يعانى متاعب من كنوكسفيل ، فقد وجد براج الفرصة سانحة لابادته قبل أن يتمكن جرانت من تجميع

قواته ، فأرسل لونجستريت يوم ٤ نوفمبر ، إلى كنوكسفيل لكى يطوقه ، وقد أشاع ذلك الفزع فى واشنجطن ، حتى أن جرانت تلقى الرسالة تلو الرسالة لكى يخف لانقاذه .

وكان الشىء الوحيد الذى يستطيع جرانت أن يفعله هو الهجوم ، ولكن توماس أشار عليه ـ وكان محقا ـ أن يؤخر التقدم ، وعندئذ صمم جرانت على خطته ، التى تتلخص فيما يلى :

أن يقوم بتطويق مزدوج بقوات شيرمان وهوكر التى ترتكز على جيش توماس فى الوسط ، فكان على شيرمان أن يهاجم يمين براج فيهدد مؤخرته ، ويقطع عليه طريق كنوكسفيل ، بينما يتقدم هوكر من وادى لوكاوت ضد الموقع الرئيسى ليسار براج على تبة ميشينارى، هذا بينما يهدد توماس من الأمام .

ويوم ٢٢ نوفمبر سمع جرانت أن بيرنسايد قد هوجم ، فأمر توماس أن يقوم باستطلاع القوة فى اليوم التالى وكان ذلك من سوء الحظ فقد نبه براج إلى الخطر المحدق بجنبه الأيمن ، فقواه فى الحال .

أما شيرمان الذى عاقت الأمطار تقدمه ، فقد كان فى موقعه ليلة ٢٣ نوفمبر ، وبالتبعية صدر الأمر بالهجوم يوم ٢٤ ، وبدأ التحرك الساعة ٠٣٠٠ ، فأقام طابية على الضفة اليسرى لنهر التنيسى قرب

مصب نهر شطانوجا الجنوبى ، ومد كوبريا طوله ١٣٥٠ قدما على التنيسى وعبر النهر ، وهاجم ، ثم أوقف شمال تبة تانل بقليل ، وفى أثناء ذلك دخل هوكر فى قتال احتل بعده قمة جبل لوكاوت .

وقد قوى براج جناحه الأيمن فتمكن من إيقاف شيرمان يوم ٢٥ ولكن ذلك أضعف جناحه الأيسر ، فاستطاع هوكر أن يندفع إلى روسفيل ، ولكنه تأخر بضع ساعات خلال عبور نهر شطانوجا ، ولم يبلغ هوكر عن ذلك التأخر مما أقلق جرانت على سلامة شيرمان ، فأصدر أمره الساعة ١٥٣٠ إلى توماس بالتقدم واقتحام حفر السلاح الموجودة أسفل تبة ميشينارى ، وقام توماس بذلك ولكن اليأس كان قد استبد بالجنود فلم يستطيعوا التوقف هناك ، ولدهشة جرانت ، اندفع الجنود الربعمائة ياردة الأخيرة ، على الميل الأمامى واكتسحوا الموقع الأساسى ، وكان ما حدث كما يأتى .

نجح هجوم هوكر على يسار جرانت ، وانهارت الروح وسط الجنوبيين ، فارتدوا إلى الخلف ، قبل أن يكرر توماس الاقتحام .

لقد أصبحت المعركة حاسمة وفقد براج ٢٫٥٢١ رجل بين قتيل وجريح ، و ٤٫١٤٦ أسيراً ، ٤٠ مدفعاً ، وخسر جرانت ٥٫٨٢٤ رجل بين قتيل وجريح ومفقود ، وتوقفت المطاردة يوم ٢٧ وذلك لانقاذ

كنوكسفيل ، التى أرسل إليها شيرمان ولما وصل إليها يوم ٦ ديسمبر وجد أن لونجستريت قد رفع عنها الحصار يوم ٤ وأنه منسحب عن طريق وادى هولستون .

وأهمية هذه المعركة أنها لم تغلق منفذ العدو « الساليبورت » فحسب ولكنها فتحت الباب الخلفى للحلف الجنوبى .

الباب الرابع

معارك عامى

١٨٦٤ — ١٨٦٥

الفصل الأول

وضع الخطط لمعارك سنة ١٨٦٤

عندما استقر جرانت فى الغرب ، وضح له الموقف — وإن لم يتضح لحكومته — فقد كتب إلى هالليك فى ٧ ديسمبر ١٨٦٤ يشرح له خطة يقترحها ، للقضاء على ثورة الجنوب ، وتتلخص فى أنه سيتحرك إلى موبيل عن طريق نيو أورليانز — باسكاجولا ، وأنه يأمل أن يؤمن ذلك المكان أو يحاصره فى آخر يناير ، وإذا أظهر العدو مقاومة عند موبيل فانه سيحصن خارج البلدة ، ويترك حامية كافية لتثبيت حامية الجنوبيين هنـــاك ، ثم يقاتل ببقية الجيش داخل آلاباما وربما چورجيا أيضا .

وكان يرى أن مثل هذا التحرك كفيل بتأمين ولايات آلاباما والميسيسبي بأكملهما ، وجزءا من ولاية جورجيا ، أو باجبار لى على إخلاء ڤرجينيا ، وكارولينا الشمالية .

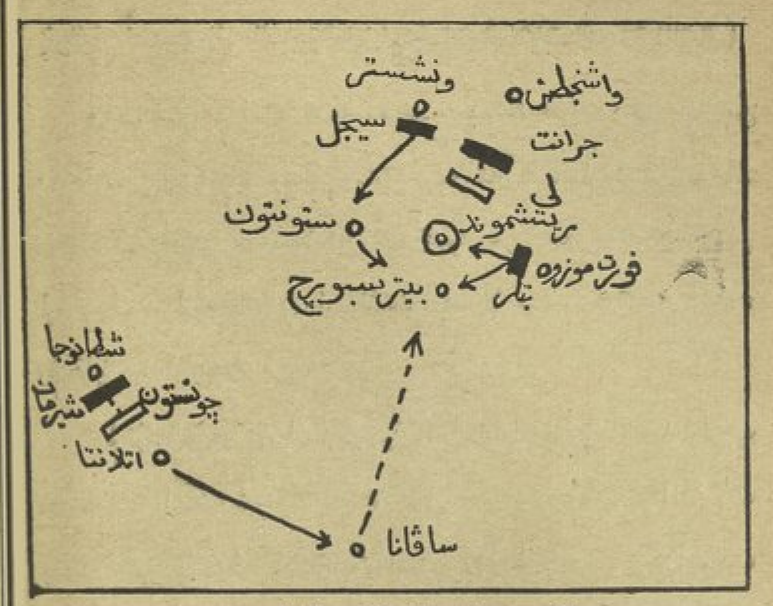
وعلى أى حال فان هذه الخطة لم تنفذ ، فبعد قتال قصير فى منطقة المريديان ، حيث ألحق شيرمان ضرراً بالغاً بالسكك الحديدية ، استدعى جرانت إلى واشنجطن فى ٣ مارس حيث رقى يوم ٩ إلى رتبة لفتنانت

جنرال ثم أسندت إليه القيادة العليا لجميع قوات الولايات المتحدة (الشمال).

وكان لدى جرانت ثمانية أسابيع ليستعد فيها ، وهى المدة من ١٠ مارس إلى ٤ مايو ، حينما بدأت حربه المشتركة ، ولم يكن غير معروف فى الشرق فحسب ، ولكنه كان مجهولا من بعض ضباط جيش البوتوماك ، ولم يحدث أن زار واشنجطون إلا مرة واحدة قبل ذلك ، ولم يقابل لنكولن ولا مرة .

ولم تؤد الحاجة إلى استراتيجية كبرى للشمال إلى إطالة أمد الحرب فحسب ، ولكنها شجعت أنصار السلام فى الشمال ، وكانت انتخابات رئاسة الجمهورية التالية قد اقتربت وستجرى فى الخريف ، وكان موقف لنكولن والحال هذه غير مأمون العاقبة ، وقد أدرك جرانت ذلك كما أدرك أن واشنجطون ، يجب تأمينها ضد أى تهديد مفاجىء ولكى يجعل ذلك التأمين استراتيجيا ، عليه أن يجرد لى من سلاحه .

ولقد جال بخاطر جرانت ، أن يقوم بتحرك ساحلى كالذى قام به ماك كليللان عام ١٨٦٢ ، ولكنه نفى ذلك الخاطر مفضلا التقدم على الأرض ، لأن مثل ذلك التقدم سيستر واشنجطون ، ولكى ينفذ تلك العملية صمم على أن يزحف على لى مباشرة ، بينما يقوم شيرمان بالمناورة ضد مؤخرة لى ، وكان غرض جيش البوتوماك ، الذى أسندت



فكرة جرانت الاستراتيجية عام ١٨٦٤

قيادته المباشرة إلى الجنرال ميد ، هو تثبيت لي بالقيام بهجوم عام ، وقد كتب جرانت إلى ميد يوم ٩ إبريل يخبره أن جيش لي هو غرضه ، وعليه أن يتبع ذلك الجيش ، وكان جيش البوتوماك يعاونه الفيلق التاسع بقيادة بيرنسايد هو العمود الفقرى لاستراتيجيته ، وكان شيرمان يرتكز عليه فى عمله عند شطانوجا .

وعقب تسلم جرانت القيادة العليا مباشرة ، أرسل إلى شيرمان خطابا وخريطة ، تسلمهما يوم ٢ ابريل ، وكان مبينا على الخريطة عدة

خطوط تشير إلى العمليات المنتظرة ؟

وتبعاً لتلك الخريطة كان على شيرمان أن يتقدم من شطانوجا إلى إلى أطلانطا ، وكان غرضه الأول الجيش الذى يقوده جوزيف جونستون وقد خلف براج فى قيادة هذا الجيش ، أما غرضه الثانى فهو اطلانطا ، ثم يتحرك بعد ذلك إلى سڤانا عن طريق ميليدج ڤيل ، وقد اشتبك الجنرال بانكس ، فى قتال سياسى لا قيمة له عند النهر الأحمر Red River فى لويزيانا لكى يساعد شيرمان ، ولم يستطع جرانت إيقاف ذلك القتال العديم الجدوى ، وكان عليه أن يعجل بعملياته ، فيحتل شريفبورت ويرسل قوة قوامها ٢٥٫٠٠٠ رجل إلى موبيل ، وحينما يتم احتلال تلك المدينة ، تتحرك هذه القوة إلى مونتجومرى فتهدد مؤخرة جونستون بينما يهاجمه شيرمان من الأمام ولم يقدر لهذا الجزء من خطة جرانت النجاح لأن بانكس هزم هزيمة منكرة يوم ٨ أبريل .

بينما كان شيرمان متقدماً ، كان ينبغى أن يحصل جيش ميد على معونة على الجانبين ، من جيش سيجل الذى يعمل فى وادى شناندوه وجيش بتلر الذى يرتكز إلى قلعة مونرو ، وكان على سيجل أن يتحرك إلى سونتون ويهدد ڤرجينيا وتنيسى ، وسكك حديد ڤرجينيا المركزية بينما كان على بتلر أن يتحرك إلى بترسبرج ، وريتشموند ، وكان جرانت

يدرك تماماً أن قيادة البحر هي العمود الفقرى لاستراتيجيته ، كما كان يدرك أن الاستراتيجية المضبوطة هي التي تعتمد على تموين مناسب ، ولذلك صمم على تحريك جيش ميد قريباً من الساحل ما أمكن ، وكان ذلك التحرك كثير العيوب من الناحية التكتكية نظراً لطبيعة الأرض في المنطقة ، ولكنه كان ضرورياً من الناحية الاستراتيجية ، لأن سلوك الطريق الساحلي يمكنه من تغيير قاعدته عند ما يتراءى له ذلك ، هذا بالإضافة إلى عدم الحاجة إلى قوات لحماية خط تموينه هذا .

وقد كتب إلى هاليك رئيس أركان الحرب في واشنجطون يوم ٢٩ أبريل يشرح له وجهة نظره في مسألة التموين ويقول فيها « إن الجيش سيبدأ في التحرك ومعه تموين خمسة عشر يوماً ، دون الحاجة إلى تموين جديد ، هذا إلا إذا اضطروا للبقاء في المنطقة الواقعة بين نهرى الرابيدان وشيكاهوميني ، وفي هذه الحالة سيحتاجون إلى تموين يصلهم بطريق نهرى يورك وراپاهانوك ، فإذا ما استقروا على نهر جيمس ، فلن تكون هناك ضرورة لاحتلال الطريق جنوب بول ران » .

هذه خطة جرانت الاستراتيجية ، فلنر الآن تكتيكاته ، وأسلوب قتاله ، كان جرانت يعلم تماماً حب لي للمناورة ، وكان يعلم أيضاً أن أخشى ما يخشاه لي ، هو قائمة خسائر كبيرة ، ولذلك صمم على اتباع خطة الهجوم وإنقاص عدد قوات لي عن طريق هجوم عاجل ،

وبذلك يلجأ لى إلى الدفاع ، وطالما أنه لجأ إلى الدفاع فلن تصبح لديه حرية الحركة .

بينما كان جرانت يفكر فى هذه الخطة ويعد العدة لتنفيذها ، كانت هناك أحداث تجرى فى المعسكر الآخر ، معسكر الجنوبيين ، ففى سبتمبر ١٨٦٢ كان لونجستريت قد أشار على لى بالقتال فى تنيسى مع التزام خطة الدفاع عن فرجينيا ولكن لى كان يشك فى قيمة مثل هذا القتال ، وكان رده على هذا الاقتراح أن أرسل لونجستريت لتقوية براج فى شطانوجا .

ففى ديسمبر وضع بورجارد أسكتشاً لخطة قتال أمام ريتشموند ، وقد أشار إلى ان مجموع القوات المتيسرة ٢١٠٫٠٠٠ رجل ، وأن الحكومة إذا لم تصدر أمرها للجيش بالتجمع ضد نقطة حاسمة فان الحرب ستنتهى بضرب الجيش جزءا جزءا ، وقد اقترح سحب ٤٠٫٠٠٠ رجل من الشرق ، وتكوين جيش قوته ١٠٠٫٠٠٠ رجل فى الغرب ليعمل ضد جرانت ، بالتحرك ضد خطوط مواصلاته قرب كنوكسفيل ، ولم ينفذ شىء من هذه الاقتراحات ، رغم أن لى أيضاً رأى الخطر فى الغرب .

وفى ٣ ديسمبر أبلغ لى الرئيس ديفيز أن العدو قد يخترق چورجيا وأن من رأيه أن يجمع أكبر قوة ممكنة بقيادة قائد ماهر لضرب جيش جرانت .

وفى ١٠ يناير عام ١٨٦٤ اقترح لونجستريت أن ينقل مشاته كلها إلى الشرق ليعمل ضد واشنجطون، ولـكن لى لم يوافق، وقال إن عمليات توجه لاسترداد الميسيسبى وتنيسى قد تكون أجدى على البلاد، وترفع الروح المعنوية أكثر من الاستيلاء على واشنجطون، وقد رجح لى أن أكبر مجهود للعدو سيكون فى الغرب وصمم على تركيز قوته هناك لمقابلته .

لقد كان شتاء ١٨٦٤ مصدر قلق شديد للجنرال لى ، فقد كان الجيش يلبس خرقا بالية ، وقد برح الجوع بالجنود فالتموينات غير كافية ، ولا ملابس ، ولا أحذية ، ولا مهمات ، هذا بالاضافة للمعيشة فى معسكرات الخلاء على نهر الرابيدان ، وهى غير محتملة إطلاقا ، لقد كان الجنوب فى هذه الفترة محتاجا إلى الضبط والربط أكثر من احتياجه إلى الرجال ، ولم يكن ذلك راجعاً إلى رداءة الجنود ، ولـكنه يرجع إلى فساد الشئون الادارية لدرجة تجعل أجهل الجنود يسخر منها ، ويضاف إلى ذلك القلق والحيرة ، وارتياب لى فيما قد يقدم عليه جرانت ، ولم تدم هذه الحيرة طويلا فقد كتب إلى الرئيس ديفز يوم ١٥ ابريل ١٨٦٤ يقول «لقد أصبح من الواضح أن هدف جرانت هو ريتشموند» وأصدر أمرا عاما فى اليوم نفسه إلى الجيش بالاستعداد للتحرك ، كان

رأيه أن معركة كبيرة ستدور رحاها على الراپيدان ، وسرعان ما اتجهت أفكاره إلى مركزهم القديم ، وغارة على وادى شناندوه .

وكان حليفه فى قتاله المقبل ليس وادى ڤرجينيا ولكنها البرية ، فهى التى تستر قلة عدد قواته ، ونقص شئونه الادارية ، فقد عاش جيشه طويلا فى تلك المنطقة ، وهو يعرف مسالكها ونواحيها معرفة وثيقة ، وكانت استراتيجية لى كلها تعتمد على الاحتفاظ بذلك المعقل القوى ، واستدراج جرانت إليه ، ومنع جيشه من اختراقه . وبذلك يرهق موارد الشمال ، ويذهب بصبر أهله ، وكانت فكرته أن يدخل مع عدوه فى معركة مبكرة بقدر الامكان وكانت خطته جيدة فهو سيترك جرانت يعبر الراپيدان ، ويتقدم حيث توقفه الغابة ، وهناك يصبح التفوق العددى والفرسان والمدفعية عديمة الجدوى ، وهناك يهاجمه من الجنب ويجبره على التقهقر كما أجبر هوكر من قبل ، ولكن توزيع قواته لهذه المعركة كان خاطئا فقد كانت الرئاسة وفيلق هيل عند أورانج كورت هاوس ، وفيلق إديل على طول ماين ران ، وكان فرسان ستيوارت يسترون المواجهة والجنب الأيمن ، ولكن فيلق لونجستريت كان فى فى جوردونزڤيل ، بعيداً فى الخلف بحيث لا يستطيع أن يساعد الفيلقين

الآخرين بسرعة ، وكانت نتيجة هـــذا التوزيع الخاطىء أن لي
فى ٥ مايو عندما دارت المعركة ، لم يستطع أن يضرب بكل
قوته ، ولو كان فى موقف يمـكنه من ذلك ، إذن لقدر لخطته
النجاح .

الفصل الثانى

من البرية إلى كولد هاربور

كان جيش جرانت وهو مكون من جيش البوتوماك وفيلق بيرنسايد ١١٥٫٠٠٠ رجل من جميع الأسلحة ومجهز للقتال ، وكان فيلق فرسان شريدان (١٣٫٢٨٧ رجل) يستر مواجهة تمتد من شمال غرب كلوبيبر كورت هاوس فى اليمين إلى قرب ريتشارز فيل فى اليسار ، وكانت رآسة الجيش والفيلق الخامس بقيادة وارن (٢٥٫٦٦٣ رجل) فى كلوبيبر كورت هاوس ، وكان الفيلق الثانى بقيادة هانكوك (٢٨٫٣٣٣ رجل) جنوب محطة براندى ، وكان الفيلق السادس بقيادة سيد چويك (٢٤٫٢١٣ رجل) شمال محطة براندى ، والفيلق التاسع بقيادة بيرنسايد (٢٢٫٧٦٢ رجل) يحتل موقعاً يمتد من شمال محطة الراپاهانوك بقليل حتى ما قبل وصلة ما ناساس بأميال قليلة ، وكان لى رابضاً جنوب الراپيدان كما سبق أن أوضحنا .

وفى يومى ٤ و ٥ مايو تحركت جميع قوات الشمال ، توجهها خطة عظيمة ولها هدف واحد ، جرانت ضد لى ، وشيرمان ضد چونستون ، وسيجل على الوادى ، وبتلر فى اتجاه ريتشموند ، لقد كان ذلك درساً

عجيباً فى التعاون إذا ما قورن بالعمليات الفردية غير المترابطة التى كانت تطبع استراتيجية الشمال من قبل .

كانت مشكلة الساعة الاستراتيجية التى تواجه جرانت وهى تحريك جيش البوتوماك غير صعبة ، طالما تم عبور الرابيدان ، ولكن الصعوبة كانت تكتيكية ، فسيضطر للدخول فى الأدغال ، حيث لا قيمة للتفوق العددى ، وحيث المعرفة المحلية بالمسالك وطبيعة الأرض لا تقدر قيمتها ، وحيث يضطر الفرسان للترجل وتتوقف المدفعية وحيث تصبح أية عربة زائدة عائقا عن التقدم ، لقد لاقى هوكر مصيره فى برية فرجينيا ، وكذلك ميد الذى اخترق أطرافها عام ١٨٦٣ ، سارع بالانسحاب منها والتمس السلامة فى الأرض المكشوفة ، وفى هذه الأرض بدأ الاشتباك يوم ٥ مايو .

كان جرانت غير متأهب تكتيكياً لمثل هذا النوع من القتال ، وهو حرب الهنود ، فقد كانت تشكيلاته ثقيلة ، وكانت خطوط هجومه معقدة ، وكانت تكتيكاته مقيدة غير مرنة ، لقد أمل — وإن كان من الصعب توقع ذلك — أن يعبر البرية دون الدخول فى معركة ، ولذلك كان ينبغى أن يندفع بأقصى سرعته يوم ٤ ، ولكنه لم يفعل ذلك ، لأنه كان يخشى ألا تستر قوافله ، ولو كان بدلا من مهاجمة لى ، أو القيام بهجوم مضاد عندما يهاجمه لى ، قد حفر خنادق واحتل موقعاً ،

وترك لى بهاجمه وتحت ستر ذلك الموقع يواصل تقدمه تاركا المواقع التى على يمينه أثناء التقدم، اذن لاستطاع أن يخترق البرية بأقل خسارة ممكنة، ومن ثم يستطيع أن يلحق خسارة موازية بجيش شمال فرجينيا، الذى جعلته نواحى النقص التنظيمية والتكتيكية أكثر قابلية للتعديل، حتى يلائم حرب الغابات .

ولم يكن القتال يوم ٥ معركة بالمعنى الصحيح ، وكذلك يوم ٦ فقد كان كل من الطرفين يقاتل لتثبيت أقدامهما ، وتحت ستر الظلام سحب لى جيشه خلف الخنادق .

كانت هذه المعركة غير حاسمة تكتيكياً فقد كانت الخسائر جسيمة بلغت عند جرانت ١٧٫٦٦٦ رجل وكانت عند لى لاتقل عن ٧٫٧٥٠ رجل ولكنها كانت من الناحية الاستراتيجية أكبر نصر أحرزه الشماليون فى الشرق لأن لى اضطر لاتخاذ خطة الدفاع ، وبذلك ثبت فى موضعه فلم تمض ثمانية وأربعون ساعة على عبور جرانت للرابيدان إلا وقد أحرز غرضه وهو تثبيت لى ، وقد كلف تصميم جرانت على النجاح جيشه خسائر كبيرة إلا أنه أقنع لى أيضاً أنه رغم الساتر الذى تهيئه الغابة ، إلا أن التفوق للكثرة فى النهاية ، ولذلك حاول طيلة القتال أن يقلل خسائره بقدر الإمكان باللجوء إلى الحفر بمجرد التوقف وقد ظهرت عبقرية لى فى هذه الأعمال الدفاعية بوصفه مهندساً ، كما ان

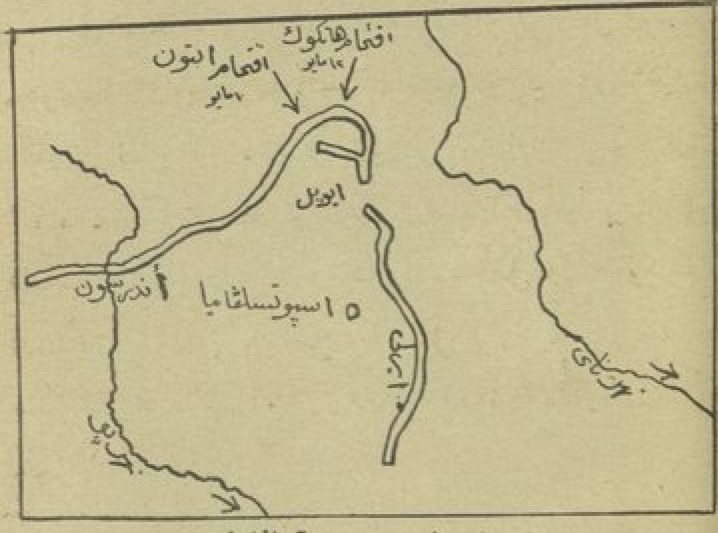
حاسته التكتيكية كانت ترشده إلى أحسن المواقع الدفاعية .

وفى ٧ مايو دخل فى معركة فى الخنادق تستحق الاعجاب والاكبار وقد تبين له الساعة ٥٠٠ يوم ٧ مايو أن العدو يتقهقر فى اتجاه شانسلورزفيل ، فأبرق يوم ٨ إلى وزارة الحرب أن العدو متحرك إلى فريدريكسبورج ، كما كتب إلى إويل يقول إنه يجب عليهم أن يحاولوا مهاجمة موخرته .

وفى صباح يوم ٧ أصدر أمره إلى أندرسون الذى حل محل لونجستريت فى قيادة فيلقه ، لأنه جرح كزميله جاكسون بأيدى رجاله ، أصدر أمره بالتحرك إلى سبوتسلڤانيا صباح يوم ٨ ، ولكن أندرسون لم يستطع ايجاد مكان ليعسكر فيه ، فتحرك فى ذلك المساء مساء يوم ٧ ، وبذلك سبق جرانت بساعات قليلة .

ورغم خسائر جرانت ومتاعب المعركة التى خاضها ، إلا أنه لم يهن ولوكان قائد آخر فى موضعه لتوقف لاعادة التنظيم ، ولكن جرانت صمم على الاندفاع إلى الأمام ، فقد قدر أن لى سينسحب هذه الليلة جنوباً ، وفى خلال أربعة وعشرين ساعة من المعركة السابقة ، كان جيش البوتوماك يقصد سبوتسيلڤانيا ، وهناك وجد اندرسون يسد عليه الطريق ، وهناك أيضاً علم أن تحركات شيرمان وسيجل على ما يرام ،

ولكن بتلر كان فى ضيق ولكى يخفف الضغط على بتلر ، أصدر أمره إلى شريدان ، وفيلق الفرسان بأكمله بالانفصال عنه والتقدم فى اتجاه ريتشموند للقيام بغارة شماليها .



خطوط خنادق لى عند اسبوتسلفانيا (١٨٦٤)

وفى سبوتسيلفانيا حفر لى خنادقه بمهارة بين نهرى بو ، وناى . وكانت خنادقه على شكل حرف « ٧ » مفتوحة ، وقد ساعده ذلك على وضع أغلب قوته فى الخط ، وأن يستغل القوة التى تحتل أحد الضلعين لتقوية الأخرى عند اللزوم ، ولكن أضعف نقطة كانت الرأس (البروز) ، ولم يفت ذلك جرانت فانه شن هجوماً يوم ١٠ بقيادة

الكولونيل ابتون على واجهتها الغربية ، وأسر ١٫٢٠٠ أسيراً ، وكان ذلك الهجوم ناجحاً لدرجة أنه صمم على استخدام فيلق هانكوك بأكمله فى اقتحام رأس البروز .

وفى الساعة ٤٣٥ يوم ١٢ تقدم هانكوك خلال الوحل والضباب وهو يسير على زاوية البوصلة ، ثم هاجم خنادق الجنوبيين ، فى تشكيلات كبيرة وانقض عليهم ، ولكن تشكيلات الاقتحام التى اتخذها كانت كثيفة ، لدرجة أن معظم قوته اختلطت ببعضها فى الحال وأصبح من الصعب السيطرة عليها . وفى الساعة ٥٤٥ أقبل أول هجوم مضاد للجنوبيين ، وعندئذ بدأ الصراع من أجل « الزاوية الدموية » وقد خسر لى فى هـذا الصراع بين ٩٠٠٠، ١٠٠٠٠ ضابط وجندى ، بينما خسر جرانت ٦٨٢٠ رجل .

وقد وجه اللوم إلى جرانت لهذه الهجمات المتتالية ، ولأنه لو أجبر لى على الخروج من مواقعه فانه سينسحب إلى حيث بتلر ، وهذا آخر ما كان يريد عمله ، لأنه كما أبعده عن بتلر سهل على نفسه التقدم على نهر جيمس ، ذلك التقدم الذى يحدث من الرعب فى ريتشموند ما يماثل الرعب الذى أحدثه تقدم جاكسون فى وادى شناندوه فى اتجاه واشنجطون من عامين ، وذلك مما أظهر حكمة تلك التحركات الخفيفة .

وكان بورجارد فى تلك الآونة قائداً لمنطقة بطرسبرج ، وقد أدرك أن لى سيجبر على ترك موقعه عند سبوتسيلڤانيا ، فوضع الخطة التالية لبراج رئيس أركان حرب الرئيس ديڤيز يوم ١٢ مايو ، وتتلخص فى الآتى:

يتقهقر لى إلى ماخلف نهر الشيكاهومينى ، و يرسل ١٠٫٠٠٠ رجل الى بورجارد الذى سينضم إليه أيضاً ٥٠٠٠ رجل من ريتشموند وبذلك تصبح قوته ١٥٫٠٠٠ رجل ، ثم يهاجم بتلر من الجنوب ويبيده ثم يهاجم جنب جرانت اليسار بعد ذلك بينما لى يثبت مواجهته ، وكانت هذه خطة عظيمة كجميع خطط بورجارد ، ولكن الرئيس چيفرسون ديڤيز لم يوافق عليها ، وبالرغم من ذلك فان بورجارد هاجم بتلر عند درورز بلاف ودفع به إلى الوراء إلى برمودا هندريد ، وفى يوم ١٨ مايو وضع بورجارد خطة أخرى مشابهة ، ولم يكن شىء يستطيع أن يحرك لى وعندما أخطره ديڤيز باقتراح بورجارد يوم ١٩ رفض أن يتخذ قراراً تاركا ذلك لديفيز .

وهكذا كانت فكرة جرانت الأساسية ، أنه حيث يذهب لى يتبعه ميد ، ولكنه استبدلها بفكرة خرى ، وهى أنه حيث يذهب ميد يجب أن يجبر لى على أن يتبعه ، وفى يوم ٢٠ تحرك فيلق هانكوك

جنوبا إلى محطة جومنيا ، وفى اليوم التالى اكتشف لى ذلك التحرك فبدأ ينسحب من خنادقه ، ولكنه كان أضعف من أن يشتبك مع هانكوك ، ولذلك خسر موقعاً بين ريتشموند والعدو ، وذلك بالتقهقر إلى موقع قرب وصلة هانوفر جنوب نهر نورث آنا مباشرة .

وقد نجحت مناورات جرانت الاستراتيجية مرة أخرى ، ولكنها فشلت تكتيكيا ، فقد أخرجت لى من خنادقه حقاً ولكنها لم تجبره على الدخول فى معركة فى الأرض المكشوفة ، وذلك لأن دفاعات لى كانت منيعة للغاية ، وقد أنشئت خلال الشتاء السابق ، وكان من الصعب أن يبدأ لى هجوما منها ، وقد أصبح موقف جرانت حرجا للغاية ، فقد قدر خطورة القيام باقتحام على مثل هذه المواقع ، لصعوبته وكثرة خسائره ، وكذلك موقف بتلر المحصور فى برمودا هندريد ، ولذلك قرر القيام بحركة تطويق أخرى .

وبعد ظهر يوم ٢٥ سحب قواته عبر نهر نورث آنا ، ووجه ميد إلى الزحف على هانوفر تاون ، وقد نجح هذا الزحف المعقد نظراً لقربه من الجيوش الأخرى ، وهكذا فتحت جبهة ثانية للقتال على توتوبوتوموى كريك ، هكذا فعل لى فقد تحرك كلا الجيشين جنوبا ، لى يستر ريتشموند ، بينما جرانت يؤمل كثيراً فى أن يجبر لى على الخروج من خنادقه .

وفى يوم أول يونيو التقى الجيشان وجها لوجه قرب كولد هاربور

القديمة والجديدة ، وكان جنب لى الأيمن يرتكز على نهر شيكاهوميني ، ويساره يمتد على شمال جينز ميل ، وهى نفس المواقع التى صد فيها ماك كليللان عام ١٨٦٢ .

وعلى هذه البقعة من الأرض دارت معركة كولد هاربور ، تلك المعركة التى احتلت مكانة ظاهرة فى تاريخ الحرب الأهلية ، وإن كانت لاتستحق تلك المكانة ، فلم تكن معركة كبيرة ولا حاسمة ، فقد كانت خسائر لى طفيفة وخسائر جرانت لاتستحق الذكر ، وكان تأثيرها سياسياً أكثر من أى شىء آخر ، فقد كان الشعب فى الشمال قلقاً ، وكانت انتخابات الرياسة على الأبواب ، وكان موقف لنكولن حرجا وكان الهدف هو الحصول على نصر سريع .

ولم يكن جرانت يجهل هذا الموقف فقد قدر شغف الحكومة بالحصول على نصر سريع ، ولكنه قدر من ناحية أخرى أنه إذا تخلى الآن عن مهاجمة لى ، فسيعتبر ذلك من الناحية السياسية فشلاً كليا للحرب ، فلم يكن هناك بد إذن من الهجوم بالمواجهة ، وقد صمم جرانت على ذلك ، ولكن طريقته كانت خاطئة أشد الخطأ .

فقد أخر هجومه أربعاً وعشرين ساعة لأنه حدد موعد الاقتحام الساعة ٤٣٠ يوم ٣ يونيو ، وقد أنتج هذا التأخير وقتاً للجنرال لى وبعد ضرب هذا الجزء ضرباً شديداً بالمدفعية يقوم باقتحامه ، ولما

بدأ الهجوم بهذه الكيفية أصبحت كل فرقة على حدة شديدة للتعرض للخطر ، كما أن النيران الأمامية ألحقت بهم خسائر جسيمة ، ولم يستمر الهجوم أكثر من ساعة ، كما أن التقدم الفعلى لم يزد على عشرة دقائق .

وكان العذر العسكرى لجرانت عن هذه المعركة أنه اعتبر لى مرهقاً لأنه رفض أن يترك خنادقه ويستأنف الهجوم ، ولكنه ظل يأسف لدخوله هذه المعركة كما ذكرها فيما بعد ، لقد ظن أن معنويات جيش لى قد انهارت ، وتذكر الاقتحامات الناجحة عند تبة مشيناري » وسبوتسيافانيا » وقدر أن ضربة قوية على هذا النسق كفيلة بأن تصرع عدوه ، ولكن مع الأسف فان جرانت قد توقع أعلى درجات البطولة من رجاله ، ولكنه أخطأ تقدير بطولة عدوه .

الفصل الثالث

معركة بيترسبورج

كانت معركة كولد هاربور اختباراً قاسياً لجرانت ، ولكنها لم تدفع به إلى اليأس بأى حال من الأحوال ، ولو كان قائد آخر محل جرانت لكانت هذه المعركة ضربة مميتة له ، ولكنها كانت بالنسبة لجرانت درساً ، ومعبراً عبر عليه إلى أقسى عملياته الحربية وأصعبها ، وقد اقترح هالليك أن يهاجم جرانت ريتشموند من الضفة الشمالية لنهر جيمس ، ولكن جرانت اعتبر هذا اقتراحاً غير ذى موضوع ، نظراً لأن أهم خطوط تموينه تقع على الضفة الجنوبية ، ولما كانت مواجهة لى لا يمكن مهاجمتها فقد قرر جرانت أن يهاجم مؤخرته ، بأن يحرك الجيش إلى الضفة الجنوبية لنهر جيمس على الجنب الأيمن للعدو لكى يقطعه عن موارد تموينه فيما عدا رافد نهر جيمس .

وفى هذه الأثناء أجبر لى على التقهقر إلى دفاعات ريتشموند كما تنبأ بورجارد من قبل ، ولكنه بدلا من أن يتجمع كما اقترح بورجارد بعض قواته ، فلم يرسل بفرقة بريكنريدج للخلف إلى الوادى فحسب ولكنه أصدر أمره فى ١١ يونيو إلى إيرلى بأن يتقدم إلى هذه

المنطقة ، ويهدد واشنجطون ، وكانت هذه لعبته القديمة ، ولكنها بليت من طول الاستخدام ، فلم يحدث رعب فى هذه المرة كالمرات السابقة .

ويبدو أن انفصال إيرلى كان له تأثير نفسى غريب على لى ، وفى ٧ يونيو أبرق بورجارد إلى براج يقول « إذا ترك جرانت جبهة لى فلا شك أنه ينوى أن يقوم بعمليات ضد ريتشموند ، على طول نهر جيمس ويحتمل أن يكون ذلك على الضفة الجنوبية » كما أنه أشار إلى الخطر الجسيم الذى تتعرض له بيترسبورج ، كما أنه قدر أن تحركات جرانت الحالية لها مدلول لا يمكن أن تخطئه الملاحظة ، فانه من الواضح أنه يهدف إلى التحرك حول قوات لى ، بالتقدم على الجناح الأيسر فى اتجاه نهر جيمس ، وذلك بقصد العمل بين هذا النهر ونهر شيكاهومينى ، فاذا لم تقابله مقاومة ما فانه سيقوى مراكزه على ضفتى نهر جيمس ويمد عليه كوبرى البونتون قريباً من شافينز بلاف ، بقدر ما تسمح الظروف فاذا أخفق فى ذلك فسيتابع تقدمه حول ريتشموند ، ويهاجم مجمعا جيشه كله على الضفة الجنوبية لنهر جيمس ، مستخدما الموضع الحصين عند عنق برمودا هندرد كقاعدة لعملياته .

هذه صورة حقيقية لما كان على وشك الوقوع ، لأن جرانت أصدر

أمره إلى شريدان يوم ٧ يونيو بالتحرك إلى شارلوتزفيل لكى يتخلص من فرسان لى ، لقد كانت صورة مخيفة حقا ، فقد كان لى يضعف قواته فوق ضعفها بينما هو فى حاجة إلى كل رجل ، وبينما جرانت يجبره على اضعاف نفسه أكثر وأكثر ، وذلك بارسال شريدان لضرب مواصلات الجنوبيين ، وهكذا نجد أن أنظار لى تتجه إلى الشمال ، بينما ركز جرانت كل همه فى الجنوب .

كانت خطة جرانت أن ينسحب جيشه عبر مستنقعات شيكاهومينى ويقيم جسرا على نهر چيمس الذى يظهر فيه المد واتساعه ٧٠٠ ياردة ، وبذلك ينقل قاعدة تموينه من هوايت هاوس إلى سيتى بوينت ، ثم يزحف على پيترسبورج ، ولكى يحقق جرانت هذا الزحف الذى فاقت صعوبته وخطورته أى محاولة سابقة ، حفر خنادق قوية على مواجهته واحتلها ، وتحت ستار هذه الخنادق أخذ يسحب جيشه عند حلول الظلام يوم ١٢ يونيو ، ورغم أن هذه المناورة المدهشة قد جرت بالقرب من لى ، وفى أرض معادية تضج بالجواسيس ، إلا أن لى لم يحط علما بما حدث إلا يوم ١٨ يونيو .

وكانت خطة جرانت أن يستولى على پيترسبورج قبل أن يخف لى لنجدة بورجارد الذى كان يحتل المدينة بحامية صغيرة ، وقد خصص الجنرال سميث والفيلق الثامن عشر للقيام بهذه العملية ، وقد سحب

هذا الفيلق من الشيكاهوميني يوم ١٢ يونيو ، ويوم ١٤ قدم سميث نفسه إلى بتلر الذى نواه بعدد كبير وقد بدأ الرحيل صباح يوم ١٥ ، وحوالى الساعة ١٠٠٠ أصبح على مرمى مدافع بيترسبورج ، ومنذ ذلك الوقت حتى الساعة ١٧٠٠ استكشف الموقع ، وبعد وقت طويل أصدر أمره للمدفعية بالتقدم ، فوجد أن الخيول قد أرسلت للسقاء ، وقد تسبب ذلك فى تأخير الهجوم حتى الساعة ١٩٠٠ ، وفى الساعة ٢٢٠٠ سمع بسقوط أول موقع .



تقدم جرانت جنوب نهر جيمس

كان ينبغى أن يعلم سميث بأن قوة بورجارد ضعيفة ، فقد كان عددها على التحقيق ٢٢٠٠ رجل بين مدفعية ومشاة ، بينما كان لدى سميث ٠٠٠ و ١٨ رجل ، ولذلك كان تأخره وحذره غير مقبولين ، فقد كان يخشى أى مخاطرة ، وقد فضل أن يبقى تلك الليلة مستريحا .

لقد كانت أهمية پيترسبورج كبيرة بالنسبة لريتشموند والجنوب وكان احتلالها حيويا بالنسبة لتحقيق استراتيجية جرانت ، ولذلك يعتبر تأخير سميث وافتقاره إلى النشاط ، خطأ من أكبر أخطاء الحرب كلها فقد أثبتت هذه الغلطة عدم صلاحيته للقيادة ، رغم أنه جندى مثقف ثقافة عالية .

وقد تتابعت الأخطاء بعد ذلك ، فان هانكوك الذى كان مفروضا أن يتبع فيلق سميث عن كثب ، أضاع وقتا ثمينا طويلا فى انتظار صرف تعيينات ، وعند ما لحق بسميث لم يستخدم ذلك الجنرال فيلقه استخداما صحيحا .

وفى هذه الأثناء اكتشف لى يوم ١٣ أن جرانت قد ترك جبهته وفى نفس الوقت بدأ إيرلى تحركه شمالا وبدلا من استدعاء إيرلى ، كتب إلى الرئيس ديفيز ، فى اليوم التالى يقول « انه يظن أن العدو يستعد للتحرك جنوب نهر چيمس ، وأنه قد يرسل قواته على الچيمس

بقصد الاستيلاء على بيترسبورج ، قبل أن نستطيع تقويتها » وكان لا يرى ضرورة لاستدعاء إيرلى ، فقد كان يظن أن هجوم إيرلى وتهديده لواشنجطون سيرهق أعصاب الشماليين و يضطرهم لسحب جرانت من الجيمس كما أجبروا على سحب ماك كليللان عام ١٨٦٢ .

ومن حسن حظ لى ، أن بورجارد قد لعب دوره بمهارة فائقة فقد كان فى الواقع ضعيفا بدرجة اضطر معها أن يستدعى الحامية الموجودة فى دفاعات برمودا هندريد ، وقد تسبب ذلك فى فك حصار بتلر ، ومكنه من التقدم فوضع جيشه بين بيترسبورج وريتشموند ذلك الوضع الذى أدى إلى حد كبير إلى اسقاط العاصمة فيما بعد ، ولقد أخطأ مرة أخرى ففقد فرصة العمر ، فى هذه الأثناء أصر ميد على مهاجمة بيترسبورج فى أقوى نقطة فيها ، وبذلك حطم استراتيجية جرانت .

وفى يوم ١٥ أبلغ بورجارد الجنرال لى أن موقفه فى بيترسبورج أصبح حرجا ، فأجابه لى بأنه لا يعرف موقف جيش جرانت ، وقد هوجم بورجارد فى الأيام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ فأرسل الرسالة تلو الرسالة يطلب معونة ولكن لى لم يتحرك حتى يوم ١٧ حين أمر ا . ب . هيل بالتحرك إلى شافينز بلاف ، ولم يصدق تقارير بورجارد حتى يوم ١٨

حين أرسل إلى إرلى يخطره أن جرانت أمام بيترسبورج ، ويجب مهاجمته هناك ، وأن عليه أن يضربه بأسرع مايمكن ، و بقدر ماتسمح ظروفه ، عليـه أن ينفذ الخطة الأصلية ، أويزحف على بيترسبورج بلا تأخير .

ولايشك أى ناقد محايد فى أن قيادة لى بين يومى ١٣ و ١٨ كانت ضعيفة وكانت من مستوى منخفض ، والواقع أن هجوم جرانت العاجل المتكرر قد دفع لى إلى الاعتقاد بأن عدوه لم يعـد لديه ورقة أخرى يلعب بها ، ولقد ظن أن جرانت سيعبر الجيمس ، ولـكنه عاد فشك فى أنه سيفعل ذلك ، وعاد بعد ذلك إلى خـدعته القديمة وهى غارة الوادى ، وعند ما وصـل إلى بيترسبورج الساعة ١١٣٠ يوم ١٨ ، حرضه بورجارد على أن يأمر فيلقى هيل واندرسون بمهاجمـة مؤخرة جرانت وجانبه الأيسر ، ولـكن لى رفض عرضه بدعوى أن قواته فى حاجة الى الراحة ، وأن الدفاع قد أصبح كثير المزايا بالنسبة لهجوم جرانت شمال الجيمس ، وفضل أن يستمر بورجارد فى أسـلوب قتاله فى بيترسبورج ، وهذا يعنى استئناف الدفاع السلبى مرة أخرى .

وقد كتب لى إلى الرئيس ديڤيز ينبئه بذلك يوم ٢١ يونيو ، ومنذ ذلك التاريخ ، أى منذ ضرب جرانت الحصار على بيترسبورج ،

بدأت كفة الجنوب تشيل ، وبدأت نهاية الحرب تقترب يوما بعد يوم ، ولقد داعبت أذهان البعض فكرة انهيار سياسى فى الشمال ، أو عدم انتخاب لنكولن رئيسا للولايات المتحدة مرة أخرى ، وبذلك يتخلى الشمال عن فكرة الحرب ، ولكن لى كان يعلم حق العلم أن جرانت حينما يثبته فى ريتشموند وبيترسبورج ، فان ذلك أمر خارج عن الحوادث السياسية ، فقد كانت تكتيكات جرانت الاستدراجية تنبىء بذلك ، فان عملياته المضعفة هنا ، والضاربة هناك ، قد أتعبت الجنود وأرهقتهم كما يقول لى ، وبذلك قلت من كفاءتهم لدخول المعركة وكان الأمل الوحيد للجنوبيين هو كسر ذلك الحصار القوى ، والانفصال عن ريتشموند ، ونقل النضال إلى منطقة أخرى ، ولقد كان لى كبير الأمل فى إيرلى ، وكان يرغب فى امداده بقوة ، ولكن من أين ......؟

هذا عن لى أما عن جرانت فانه لم يخطىء ، ولكن خطته قد أفسدها مرؤسوه ، ولقد فشل مرة أخرى ولكنه رفض أن يتقبل الفشل وعاد إلى استراتيجيته فعدلها دون أن يمس جوهرها ، وهى أن يرابط للجنرال لى ، وطالما أنه لا يستطيع إبادة لى ، فعليه أن يطوق بيترسبورج ومن ثم يعمل حولها وإلى الجنوب منها ، ضد خطوط تموين لى ، وأهمها خطوط ولدون ، وساوث سايد ، ودنفيل الجديدة ، ورغم

أن الوسائل قد تغيرت إلا أن الفكرة ظلت كما هى . وهى الالحاق بسرعة بالجنرال لى وتثبيته حتى تستمر مناورة شيرمان .

وبين ١٨ يونيو ونهاية اكتوبر شن جرانت حربا متتابعة على هذه الخطوط الحديدية ، وبذلك استمر على تهديد بيترسبورج على الدوام ، وبالتالى يضطر حكومة ريتشموند ولى أن يتجمعوا لحماية المدينة ، وكان جرانت يدرك أنه طالما بيترسبورج فى خطر ، فان ريتشموند مهددة ، ولم تجبر تلك التصرفات لى على الاحتفاظ بقوة كبيرة بالقرب من ريتشموند فحسب ، بل وجعلت من الصعب عليه أن يخصص قوات لمقابلة شريدان الذى يعمل فى الوادى ، أو يرسل مدداً إلى جونستون .

الفصل الرابع

معارك شريدان وشيرمان

بينما كان جرانت متحركا إلى الجنوب خلال البرية ، هاجما على على سبوتسيلڤانيا ، والشيكاهوميني ، عابراً الجيمس ومحاصراً بيترسبورج ينبغي أن نتذكر أن هناك معركتين أخريين آخذتين مجراهما ، واحدة في وادي ڤرجينيا والثانية في جورجيا ، وكانت هاتان المعركتان مرتبطتين بعملياته تمام الارتباط ، كانت تلك المعارك الثلاثة إجراءاً لابد منه لحرب كبيرة ، ويمكن تقديرها تقديراً صحيحاً إذا درست متصلة ببعضها .

فقد هزم الجنرال سيجل في وادي شناندوه يوم ١٥ مايو هزيمة ساحقة عند نيو ماركت ، وحل محله الجنرال هنتر الذي تقدم في ١٧ نوفمبر حتى أصبح على بعد خمسة أميال من لينشبورج ، وقد التقى في اليوم التالي بفيلق إيرلي الذي أرسله لي شمالا كما سلف ذكره ، فما كان منه إلا أن تقهقر إلى وادي كناوها ، تاركاً وادي شناندوه مفتوحاً أمام ايرلي ، الذي تقدم فيه مهدداً واشنجطون يوم ١١ يوليو وكان جرانت قد تنبأ بما سيحدث فأرسل يوم ٥ يوليو بالفيلق السادس إلى واشنجطون ، وتبعاً لذلك عاود إيرلي عبور البوتوماك يوم ١٤ يونيو

وتقهقر فى اتجاه ستراسبورج ، وقد صمم جرانت على إقفال الوادى ، فأسند قيادة جميع القوات فى تلك المنطقة إلى الجنرال شريدان يوم ٧ أغسطس .

وقد لقى شريدان فى البداية صعوبات كثيرة من الساسة فى واشنجطون مما اضطر جرانت إلى زيارته ، ثم استقامت الأمور بعد ذلك ، والحق بايرلى هزيمة ساحقة فى ١٩ سبتمبر عند اوپيكون كريك ، ثم لاحقه واشتبك معه وهزمه مرة أخرى عند تبة فيشر يوم ٢٢ سبتمبر ثم هزمه مرة ثالثة عند سيدار كريك ، يوم ١٩ أكتوبر ، وكان لهذه الانتصارات جميعاً تأثير مشجع على الحالة السياسية .

بينما كانت قوات شيرمان تتحرك كذراع الرافعة متخذة من جيش البوتوماك مركزاً لتحركها ، كانت مكونة من ١٠٠٠٠٠ رجل ، ٢٥٤ مدفعاً ، وقد التفت هذه القوة بقوة چونستون ، التى تعدادها ٤٣٠٠٠ رجل عند دالتون ، ولما كان شيرمان مفكراً ولديه موارد غنية ، فقد أدرك أنه رغم تفوقه العددى ، فان كل ميل سيتقدمه يطيل خطوط مواصلاته ، ومن ثم يقلل من قوته ، ولذلك صمم على ألا يفعل ما يريده چونستون أن يفعله ، وهو مهاجمته فى مواقعه الحصينة ولكنه بدلا من ذلك سيقوم بمناورات لتثبيته بينما يقوم جرانت بدق قوات لى فى الشرق ، ففى ٤ مايو قدم قواته المتحدة ، جيش الكومبرلاند

بقيادة توماس فى الوسط ، وجيش التنيسى بقيادة ما كفرسون فى اليمين ، وجيش أوهيو بقيادة سكوفيلد فى لليسار ، وكانت فكرته التكتيكية أن يزحف على عدوه حتى يتصل به ويثبته ، ثم يقوم بحركة تطويق فيضطره للانسحاب من مواقعه والارتداد إلى الوراء ، وقد نفذ ذلك بنجاح فى دالتون ، ومرة أخرى على نهر أوستانوالا ، ثم على نهر إيووا ، ثم عند إللاتونا ، ثم نيوهوب تشيرش ، ثم عند ماريبتا ، وفى يوم ١٨ يونيو هاجم عدوه عند جبل كينسيو بنجاح قليل ، وقد سحب



قتال شيرمان إتلانتا (مايو ١٨٦٤)

جونستون قوته يوم ٢ يوليو إلى نهر شاناهوكي حيث استدعته حكومة الجنوب يوم ١٧ غير مقدرة لتكتيكاته المضبوطة ، ونظراً لتقهقره حل محله الجنرال هود .

وكان هود عجولا ذا طبيعة حمقاء فهاجم شيرمان ثلاث مرات ، وقد ارتد فى كل مرة بخسائر فادحة ، وقد أجبر على التراجع إلى اطلانطا حيث تبعه شيرمان ، وهناك كان هود فى موقف لا يحسد عليه ، وفى سبتمبر كانت اطلانطا — بوابة الجنوب — فى يد شيرمان .

بمجرد احتلال اطلانطا ، وتبعاً لخريطة جرانت الاستراتيجية ، كانت العملية التالية ، هى التقدم إلى ساحل الأطلنطى ، ولكن هذه العملية مبنية على افتراض إبادة جيش هود ، والواقع أن ذلك لم يتم ، لأن ذلك الجنرال انسحب يوم ٢٠ سبتمبر إلى محطة بالميتو جنوب غرب اطلانطا ، حيث حفر خنادق واحتلها ، وأكثر من ذلك أن موبيل لم تكن قد احتلت بعد ، رغم أن خليج موبيل فى يد الشماليين وقد ظلت كذلك حتى ١١ مارس سنة ١٨٦٥ .

وفى ١٠ سبتمبر اقترح جرانت على شيرمان أن يقوم الجنرال كانبي الذى يعمل ضد موبيل ، بعمل ضد سفانا ، بينما يزحف شيرمان

على أوجوستا ، ولكن ذلك الاقتراح كان عسير التنفيذ ، لأن قاعدة تموين شيرمان لا تزال فى لويسفيل على بعد ٤٧٤ ميلا ، وعليه أن يحرس حوالى ١٠٠٠ ميل من السكك الحديدية ، وقد أصبح هود الآن على جانب أى تقدم نحو أوجستا ، وسيبقى هو نفسه آمناً طالما موبيل صامدة ، وقد رد على ذلك الاقتراح يوم ٢٠ سبتمبر قائلا أن جرانت إذا تمكن من تأمين ولمنجتون ومدينة سفانا ، فانه يستطيع إشغال هود ، ثم يرسل جيشه زاحفاً على أوجستا و كولومبيا وشارلستون ، وفى هذه الأثناء أرسل توماس إلى شطانوجا لأن هود كان يهدد خطوط تموينه .

ولما وجد هود أنه لن يستطيع ايقاف شيرمان بمواجهته مباشرة ، صمم على ضرب مواصلاته ، وبذلك يجبره على التراجع لكى يحميها ، ففى يوم ٢٠ عبر الشاتاهوكي وزحف على ماريتا ، وكانت نتيجة ذلك التحرك أن صمم شيرمان على ترك فيلق لحماية اطلانطا والاحتفاظ بها ومطاردة هود ، ولكنه فى ١١ اكتوبر وجد أنه عمل غير مجد ، فاقترح على جرانت أن ينفض يده من هذه العملية ، وأن ينفذ الخطة الأصلية ، وهى الزحف على سفانا وشارلستون .

وقد تردد جرانت فى قبول هذا الاقتراح ، ولكنه علم من

شيرمان أن توماس يمكنه الاحتفاظ بخط التنيسى ، فوافق فى ٣ نوفمبر على ذلك التقدم ، وفى ١٥ نوفمبر تحرك شيرمان من اطلانطا على رأس ٦٠٠٠٠ رجل فوصل سفانا يوم ٢١ ديسمبر ، ورغم أنه لم يجد مقاومة تذكر فى الطريق ، إلا أن تقدمه كان ذا تأثير استراتيجى حاسم ، وتأثير سياسى كبير على مجرى الحرب ، فقد أحدث تدميراً فى چورچيا قدر بمائة مليون دولار ، مما كان له أسوأ الأثر على الروح المعنوية فى الجنوب ، وبالذات على جيش لى ، فقد هجر الآلاف من رجاله الخدمة وعادوا إلى منازلهم ليحموا عائلاتهم .

وفى هذه الأثناء كان هود مندفعا إلى الشمال ، وقد ارتد توماس إلى ناشفيل عند مالم يستطع أن يجمع جيشه ،ومن هناك أرسل الجنرال سكوفيلد ليستر تجمعه ، وقد أدى ذلك إلى نشوب معركة عند فرانكلين ألحق فيها سكوفيلد خسائر قيمتها ٣٠٠ و ٦ رجل بجيش هود ، رغم أنه تراجع إلى ناشفيل ثانية ، وكان توماس فى هذه الفترة متفوقا على عدوه ، بنسبة ١١٢ ، وكان ينبغى أن يهاجمه فى الحال بدلا من أن ينتظر خمسة عشر يوما ، أشاعت القلق فى حكومة واشنجطون ، ولما هجم يوم ١٥ ديسمبر هزم عدوه بمنتهى السهولة .

وبهزيمة هود عند ناشفيل ، واحتلال شيرمان مدينة سفانا ، انتهت

معارك الشماليين عام ١٨٦٤ ، ففى ٥ مايو فتح جرانت صمام هـذه العمليات الـكبيرة المشتركة ، وكان يأمـل أن ينهى الحرب فى ذلك السيف ، ورغم أن ذلك الأمل لم يتحقق ، إلا أن استراتيجيته كانت معقولة لدرجـة كبيرة ، فانه رغم التعديلات والتغييرات ، لو لم يغير فـكرته الأساسية ، وقد ثبت لى كأنه فى مصيدة ، ولذلك نجحت مناوات شيرمان الـكبيرة .

ولقد قربت نهاية العام نهاية الحرب من الأنظار ، وقد أعيد انتخاب لنـكولن للرآسـة بتأثير انتصارات شيرمان وشريدان ، وكان لى لا يزال مثبتا فى ريتشموند ، وكان وادى ڤرجينيا خالياً من قوات الجنوب ، وهكذا انتهى عام ١٨٦٤ .

الفصل الخامس

فايف فوركس واپوماتوكس كورت هاوس

فى ١١ يناير ١٨٦٥ كتب لى إلى سيدون وزير حربية الجنوب يقول « إن لدينا تعيينات يومين » وفى ١٩ يناير كتب يقول « إن الجيش يعانى من قلة الصابون » ، وفى ٢٧ كتب إليه يشكو من فرار الجنود وتركهم الخدمة ، وفى ٤ فبراير أبلغ قرار مجلس الشيوخ بتعيينه قائداً عاماً لقوات الجنوب ، وقد أخطر بريكنريدج يوم ٢٢ فبراير أنه لن يستطيع عمل شىء حتى يخلى نهر چيمس ، وقد وافق ذلك التاريخ سقوط ولمنجتون ، وبدونها تختنق ريتشموند ، ويبدو أن لى قد أدرك ذلك ، فقد كتب إلى لونجستريت فى ذلك اليوم يخبره « بأنه إذا اضطر للتراجع فانه سيتجمع عند بوركفيل أو قربها ، وذلك حتى تتوفر له الفرصة لضرب جرانت إذا طاردهم بسرعة ، أو ضرب شيرمان قبل أن تلتقى قوتاهما » .

وفى ذلك اليوم نفسه ، وعلى الرغم من أنه أصبح قائداً عاماً ، إلا أنه اقترح على بريكنريدج أن يرسل الجنرال چونستون إلى الجنوب ليتولى القيادة ضد شيرمان ، ويبدو أن هذا الاقتراح الحكيم مستمد

من اقتراح سابق لبورجارد فى أوائل فبراير ، وفى أواخره أيضاً ، ومضمون هذا الاقتراح أن إيقاف شيرمان هو العمل المضبوط .

وفى يوم ٢٢ خصص جونستون للقيام بذلك الواجب ، وكان ينبغى أن يتجه لى بنفسه إلى الجنوب ، لأن القائد العام ينبغى أن يذهب إلى المواقع ذات الخطورة البالغة والأهمية الكبيرة ، فبمجرد وجود شيرمان فى كارولينا الشمالية أصبحت ريتشموند ميداناً ثانوياً ، وكان ينبغى أن يدرك لى ذلك بمجرد سقوط فورت فيشر مباشرة يوم ١٥ يناير لأنها مفتاح ولمنجتون ، وقد يكون أدرك ذلك ولكنه كان مصمماً على عدم التحرك ، لقد كانت نظريته « إن الواجب يتطلب أن يقترح ، وعليه أن يطيع ، ولكن لا ينبغى له أن يصمم أبداً » تشله وتعوقه .

وقد قابله الجنرال جوردون فى الأسبوع الأول من مارس ، واقترح عليه ثلاثة اقتراحات هى : —

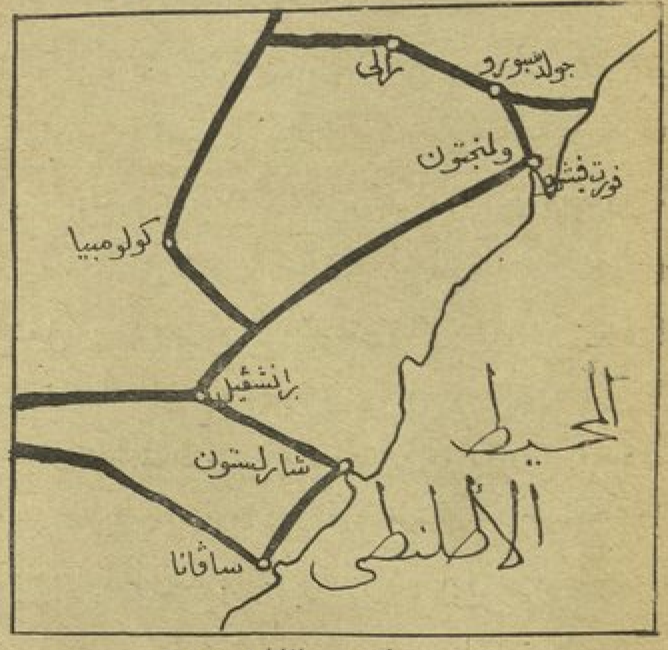
١ — أن يتفق مع العدو بشروط حسنة .

٢ — أن يخلى ريتشموند وينضم على جونستون ويضرب شيرمان

٣ — أن يضرب جرانت .

وكان تعليق لى على تلك الاقتراحات ، أنه لا سلطة له فى عقد

اتفاق مع العدو ، وأن السلطة المدنية هى التى تفعل وليس له أن ينصحها ، أما الاقتراح الثانى فقد قال إن السلطات فى ريتشموند لن توافق على مثل هـذا التحرك ، هذا علاوة على أن رجاله يكادون يموتون جوعاً ، وأنه لا يستطيع تحريك نصف مدفعيته وعرباته ، وقد شجعه جوردون على تقديم هذه المقترحات للحكومة ، واستخدام سلطته كقائد عام فوعده بذلك ، ولكن حكومة ريتشموند لم توافق على ذلك ، فلم يبق إلا حل واحد وهو القتال ، فالسكون معناه الموت ، وليس أكثر من



تقدم شيرمان من سافانا (١٨٦٥)

الموت إذا حاربوا وكان نصيبهم الفشل.

كانت خطة جرانت لعام ١٨٦٥ هى تضييق الخناق على عدوه أكثر فأكثر ، وكانت المشكلة الأولى هى احتلال بقية الموانىء البحرية ، شارلستون وموبيل وولمنجتون ، وكانت الأخيرة أهمها جميعاً وكان مدخلها محميا بفورت فيشر ، التى سقطت يوم ١٥ يناير كما اسلفنا القول ، وكان سقوط تلك القلعة ضربة مساوية لسقوط فيكسبورج كما قال نائب رئيس حلف الجنوب.

وكان جرانت يخشى أن يحاول لى الخروج من ريتشموند والانضمام إلى جاكسون ، فصمم على مراقبته أكثر من تصميمه على مهاجمته ، مع بقاء جيشه على استعداد للانقضاض على لى إذا أخلى ريتشموند ، ثم صمم كذلك على تقريب أربعة قولات من لى ، فيتقدم شيرمان إلى برانشفيل ، وكولومبيا ثم إلى رالى ، ثم ينتقل سكوفيلد من تنيسى إلى كارولينا الشمالية فيؤمن ولنجتون ، ثم يحتل جولد سبورو لكى يفتح قاعدة تموين لشيرمان ، ويتحرك شيرمان إلى لينشبورج ، ويتحرك توماس إلى سليما ، مرسلا بقوة قوية من الفرسان بقيادة الجنرال ستونمان فى اتجاه كولومبيا ، أما كانبى فعليه أن يستولى على موبيل ويحتلها.

وقد فشلت تحركات توماس نظرا لبطئه الشديد ، أما سكوفيلد

فقد احتل ولمنجتون فى ٢٢ فبراير ، وتقدم شيرمان شمالا أول فبراير ، وبعد سير بلغ مداه ٤٢٥ ميلا اتصل بسكوفيلد عند جولد سبورو يوم ٢٣ مارس ، وهذا بينما اتجه شيرمان إلى ستاونتون ، حيث قضى على بقايا جيوش إيرلى ، واحتل شارلوتزفيل ، ثم انحرف جنوباً حيث انضم إلى جيش البوتوماك يوم ١٩ مارس .

أصبح موقف لى يدعو إلى اليأس ، فنى ١٩ فبراير اخطر حكومته بضرورة اخلاء ريتشموند ، وفى ٢٣ مارس سمع من جونستون أن شيرمان قد اتصل بسكوفيلد ، وبعد ذلك بيومين قرر اتخاذ خطة الهجوم لكى يطلق نفسه من هذا التطويق ، فهاجم فورت ستيدمان ولكنه فشل لخطأ فى ترتيبات أركان حربه ، واصبحت المبادأة فى يد جرانت تماما ، لم ينتظر جرانت وصول شيرمان ، الذى لم يكن باستطاعته أن يتقدم على نهر الرونوك قبل يوم ١٠ ابريل ، بل صمم على توجيه ضربته ، وفى يوم ٢٤ فبراير اصدر أمره بذلك .

كانت خطته أن يحتل الخنادق شمال نهر جيمس بالفيلق الخامس والعشرين ، وأن يجمع الفيلقين التاسع والسادس فى منطقة بيترسبورج على استعداد لكسر جبهة العدو إذا قاوم لى ، أما الباقون وعددهم ٦٦٠٠٠ رجل يسبقهم شريدان ومعه ١٤٠٠٠ رجل من الفرسان ، فعليهم أن يتحركوا غربا ، ويطوقوا جانب لى الأيمن .

ولما سمع جرانت بأن لى يتجمع على يمينه بالرغم من المطر الشديد الذى جعل الأرض غير صالحة لمرور العربات فى كثير من المواضع ، أصدر أمره يوم ٣٠ مارس لشريدان أن يحتل وصلة الطريق عند فايف فوركس ففعل ذلك يوم أول ابريل ، وضرب الجنرال بيكيت ضربة حاسمة ، فنتج عن ذلك أن أصبحت سكة حديد ساوث سايد تحت رحمة جرانت ، وهكذا تقرر مصير بيترسبورج بالتبعية .

ولما علم جرانت بهذا النجاح أصدر أمره بعمل اقتحام على طول جبهة بيترسبورج بدلا من إصدار أوامره بمنع التجمع ضد شريدان ليمكنه من التقدم إلى خط ساوث سايد الحديدى ، وقد بدأ ذلك الاقتحام الساعة ٤٠٠ يوم ٢ ابريل ، واخترقت الدفاعات غرب بيترسبورج ، وانقسم جيش لى إلى قسمين ، ودفع شريدان بكل القوات الواقعة إلى غرب وسط لى إلى ماوراء الآپوماتوكس ، واضطر كل ماكان شرقه إلى دخول بيترسبورج تحت تأثير ضغط جرانت ، الذى اندفع إلى الأمام بجنبه الأيسر ، وفى بكور يوم ٣ ابريل تم احتلال بيترسبورج وبذلك أصبحت ريتشموند أخيراً فى أيدى الشماليين .

وقد قدر جرانت أن لى سيتبع خط دانفيل الحديدى حتى يستولى على الرونوك ، فصمم على ألا يتبعه ويزعج مؤخرته ، بل فضل أن يسبقه ويقطع عليه خط تقهقره ، ففى يوم ٣ ابريل قبل أن يغادر بيترسبورج

كتب إلى شريدان يقول « أن غرضه الأول من هذا التحرك هو قطع الطريق على جيش لى إلى دانفيل ، بينما لى قد صمم على السير إلى فارمفيل » لقد أسقط فى يده فعلا ، فعلى يساره كان شريدان والفيلق الثانى ، وليس أمامه إلا الاندفاع إلى الأمام ، والعبور إلى الضفة اليسرى للآپوماتوكس ، عند فارمفيل ، والوصول إلى دانفيل بالطريق الذى يمر خلال آپوماتوكس كورت هاوس .

وفى يوم ٣ ابريل حول لى رأس جيشه فى اتجاه إميليا كورت هاوس وكانت فكرته الوحيدة هى أن يتصل بجونستون ، ولم يكن ذلك التحرك متأخراً عن موعده أسابيع بل شهوراً ، فانه عند ما بدأ يتقدم أخذ جيشه الجائع فى الانحلال ، وبدأ الجنود يهجرونه بالمئات بل بالآلاف ، هذا بينما كان فى ريتشموند وتحت تصرفها ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ تعيين من اللحوم و ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ تعيين من الخبز وغيرها من البن والشاى والسكر ، وكان فى استطاعة لى أن يصرف من هذه التعيينات قبل أن يغادر ريتشموند وأثناء اخلائها ولكنه لم يفعل ذلك .

لقد كان أسوأ رئيس للامداد والتموين فى التاريخ ، ولذلك لم يكن هناك أساس لاستراتيجيته ، ولذلك لم تؤد تكتيكاته إلى نصر حاسم على الاطلاق .

وبينما جيش شمال ڤرجينيا يكافح فى اتجاه مصيره المحتوم ، أصدر

جرانت أمره إلى الفيلقين الثـــانى والسادس أن يتحركا إلى شمال الآپوماتوكس ويضغطوا مؤخرة العدو ، هذا بينما وجه الفيلق الخامس ، وفيلق الأورد إلى محطة آپوماتوكس ، حيث علم جرانت بنية لى على إعادة تموين جيشه فى تلك المنطقة .

وقد وصل شيرمان إلى محطة آپوماتوكس مساء يوم ٨ ، حيث دفع قوات لى الأمامية إلى الوراء فى اتجاه كورت هاوس ، وفى صباح يوم ٩ تقدم لى ليهاجمه بينما انقسم فرسان شريدان إلى قسمين ، يمين ويسار ، وأقفلا الدائرة من خلفه ، وفى نفس الوقت أطبق الفيلقان الثانى والسادس على مؤخرة لى . وعندئذ رفع العلم الأبيض ، وفى ما كلين هاوس ، فى غرفة عارية من الأثاث إلا من مائدة وكرسيين استسلم الجنرال روبرت لى ، على رأس ٧٨٩٢ من المشاة بأسلحتهم و ٢١٠٠ من الفرسان و ٦٣ مدفعاً ، وليس لديهم تعيين واحد ، استسلموا جميعاً إلى الجنرال يوليسس جرانت .

البَابُ الخَامِسُ

قادة الحرب

الفصل الأول

يوليسيس سام جرانت

كان جرانت من أولئك الرجال البسطاء الذين يظهرون فى التاريخ من وقت لآخر ، فى اللحظات الحرجة من تاريخ بلادهم ، ليمروا بها خلال الأزمات ، كان من أولئك الرجال المتواضعين الذين لايسعون وراء الشهرة ولا يظهرون إلا فى أعمالهم وأثرهم فى حياة بلادهم ، كان من أولئك الذين يبعثون الحرارة فى الحياة ، لا بالحمم البركانية ، ولكن بمثل الحرارة الكامنة فى الجمرة المشتعلة ، تبعث الدفء رغم الرماد الذى يكسوها .

كان رجلا يكره الادعاء ويمقته ، وقد قال عنه أحد أعدائه « الجنرال إيويل » (إنه ليس عبقريا ، ولكن تفكيره سليم ، إنه سريع وجرىء) .

لقد كان رجلا سليم التفكير وحسبه هذا . . . . .

وكان جرانت رجلا عاطفيا ، رغم مايصفونه به من الجمود ، ومن أنه « لا يبدو أن يكون قوة عددية تتدحرج » والواقع أنه كان يكتم عواطفه ، كما يفعل عظماء الرجال ، وقد قال عنه الجنرال لونجستريت ،

أحد أعدائه، « إن أكبر جزء منه هو قلبه » ، وقد حدث أنه لما قتل الجنرال ماكفرسون ، لم يستطع جرانت أن يغالب حزنه فدخل خيمته وبكى صديقه الراحل كثيراً ، ولما استسلم اليه الجنرال لى وضباطه لم يجد ضرورة لتجريدهم من سيوفهم ، لقد كان يضبط عواطفه فلا يبدو على وجهه شيء ، كان رجلا عميقا ، كالمياه العميقة ، تبدو ساكنة وهى فى واقع الأمر جارية متدافعة .

وكان إذا سار فى طريق لا يحب الرجوع فيه ، بل يستمر حتى يجد طريقا آخر يعود منه ، فقد روى هوراس بورتر أحد ضباط أركان حربه المقربين خلال معركة البرية ، أنه عندما يجد أنه يسلك طريقا غير الذى يريده ، فانه يسلك جميع أنواع المعابر ومخاضات الجداول ، ويقفز على أى عدد من السياجات حتى يصل إلى طريق آخر ، مفضلا ذلك على ألا يعود من نفس الطريق ، ليبدأ السير من جديد » .

ومسألة أخرى كان لها تأثيرها الكبير على شخصية جرانت ، فقد كانت خيول أبيه شغله الشاغل فى صغره ، فمنحها رعايته وحمايته ، وقد منحته فى مقابل ذلك الشجاعة والاعتماد على النفس ، والسيطرة وضبط النفس ، وقد تعلم فى عزلة الطفولة هذه أن يحلل الأشياء لنفسه

وأن يفهمها بطريقته الخاصة ، وأن يحل المشاكل معتمداً على نفسه ، وأن يتقبل الحياة على أساس القوة المادية ، تماما كما يبدو أن الطبيعة تفعله ، ولم يحدث قط أن أخفق فى حياته فى النظر إلى أى مسألة إلا من جانبها البسيط ، وفى حلها إلا فى أبسط صورة ممكنة .

وكان لو داعته يبدو كالطفل الكبير فى الأحوال العادية ، فاذا ما جد الجد ، يصبح كالمارد الرجيم ، ورغم أنه كان يبدو أقسى من رجاله حينما يتطلب الأمر القسوة ، إلا أنه كان يسيطر على نفسه سيطرة تامة ، ولم ير غاضبا إلا مرة واحدة ، أثناء عبور البامونكى فقد شاهد جنديا يضرب جواده بوحشية ، فثار لذلك وعنف الجندى .

وكان قادرا على سياسة الآخرين كما يسوس نفسه ، وذلك مما أكسبه السيطرة على نفسه ، وبالتالى أكسبه السيطرة على الأخرين ، وكان يسيطر على أعصابه فى سرعة تدعو إلى الاعجاب ، فقد عاد فى فورت دونلسون من مؤتمره مع القبطان فوت ، فوجد فرقتــــه الأولى قد هزمت شر هزيمة فتلقى الأخبار شاحباً بعض الشىء ، ثم كور الأوراق التى فى يده ورماها فى شىء من الغضب ، ولـكنه سرعان ما سيطر على أعصابه ، وأصـدر أوامره إلى ماك كليرناند والاس قائلا « أيها السادة . . . . . يجب استعادة الموقع الأيمن »

ثم ركب حصانه وانطلق بين الجنود صائحاً « املأوا خزائن بنادقكم سريعاً وعودوا إلى مواقعكم ، ان العدو يحاول الفرار ، ولا ينبغى أن نسمح له بذلك » .

وكان لهذه الكلمات فعل السحر ، فقد كان الجنود ينتظرون أمراً من أى إنسان .

كانت أساليب جرانت بسيطة دائماً ، مباشرة وفى الصميم ، وقد يبدو للنظر العادى أنه من المستحيل أن يتصرف إنسان على هذا النحو ، وكان لا يعتمد على ضباط أركان حربه ، بل يعتمد على نفسه وكان يتصف بصفتين مميزتين :

الأولى : أن ما كان يفعله بناه على رأيه الخاص ، وقد أظهر فى هذا الباب حصافة وثقة غير مألوفتين ، وكان يستمع إلى جميع الآراء فى تأدب شديد ، ثم يتصرف التصرف الذى يراه مناسباً .

والثانية : أنه كان يثق فى مرؤسيه تماماً ، فهو يعطيهم التوجيهات العامة ، ثم لا يرهقهم بالتفاصيل فقد كان يعتمد على أركان حربه فى التفاصيل لا فى الأفكار ، فكان لا يتدخل فى عمل يستطيع غيره أن يقوم به مثله أو أحسن منه ، كان أحد القادة القلائل الذين لا يضيعون وقتهم الثمين ، بالنظر فى تفاصيل ليست من اختصاصهم ، كان لا يضيع

وقته فى قراءة المجالس العسكرية أو إحصاء التموين على أصابع يديه ، أو كتابة الرسائل أو الاتصالات ، فقد كان لديه مرؤوسون يقومون بهذه الواجبات ، بينما هو يحتفظ بوقته للتفكير .

ومفتاح عبقرية جرانت هو افتقاره إلى اتيان ما يظنه الناس سهلا يسيرا ، واجتناب ما يظنونه عسيرا فقد كان فى دونلسون فى أحسن حالاته بينما الأمور تبدو فى أسوأ حالاتها ، وكانت لديه القدرة على التفكير فى صفاء ذهن فى الأحوال السيئة ، كأن الأحوال ليست سيئة على الاطلاق ، ولم يتح لأى قائد أن يواجه أحوالا أسوأ من التى واجهها فى شيلوه ، فقد واجه عند ما نزل — وكان قد وقع عن ظهر جواده قبل ذلك بيومين — خمسة آلاف من الرجال فى حالة فزع مريع ، وكان يبدو للجميع أنهم قد خسروا المعركة ، إلا جرانت ، فلم يخسر معركة على الاطلاق ، ولم يحدث أن تسلم القيادة فى معركة إلا وحاقت الهزيمة بعدوه .

وفى أعقد لحظات معاركه كان يبدو هادئاً مسيطراً على أعصابه ، يصدر أوامره فى هدوء وأناة ، ، ويتلقى الرسائل ويرد عليها ، ويسأل ثم يستخلص الحقيقة من الأخبار الكاذبة أو المبالغ فيها ، ثم يصدر أوامره للتصرف حسب ما يمليه الموقف ، وبالسرعة العجيبة التى كانت من أهم خصائصه .

كانت البساطة أولا وأخيراً هى النبع الذى تنبع منه طبيعته ، فقد كانت استراتيجيته بسيطة ، ثبت لى فى فرجينيا وحرك شيرمان ليهاجمه من الخلف خلال جورجيا ، وكانت نظريته عن الحرب هى البساطة مجسمة ، فقد قال « إن فن الحرب بسيط للغاية ، إبحث عن عدوك ، واندفع إليه بأسرع ما يمكنك ، واضربه بأقوى ما يمكنك وبأى طريقة متيسرة ، ثم واصل تقدمك بعد ذلك » .

ومن مميزاته أنه كان يستطيع اكتشاف أخطائه ، ولم يكن يغتر بانتصاراته ، لم يكن مقلداً على الاطلاق ، بل كان تلميذاً ، لا يفيد من تجارب الآخرين فحسب ، ولكن من تجاربه هو أيضاً ، ولم يكن جامداً مقيداً بالتعاليم والتراث القديم ، ولكنه كان متحرراً من القيود والجمود .

لم يكن ممن يؤمنون بالحظ ، ولكنه يؤمن بالسببية ، فما من أمر عنده إلا وله مبرر ، كان يأخذ الأمور كما هى ، ثم يبذل جهده للافادة من الظروف والملابسات ، وكان لا يظهر هذه العبقرية إلا فى الظروف الحرجة ، ولا يتردد فى اختيار أنسب الحلول مهما كان الشخص الذى اقترحها ، وكان ينفذ الخطة التى توحى بها القيادة بنفس الاخلاص والدقة التى ينفذ بها خططه هو ، ولا يسمح للمسئولية أو الخطر أو السرور أو الألم ، أن تعوق تنفيذ ما عقد العزم عليه .

والعامل الذى كان يسيطر على تصرفاته دائما هو الظروف لا القواعد والقوانين ، كان لا يقاوم الظروف ، ولا يبحث عن مبررات للفشل ، ولا يقلد الأساليب التى تؤدى إلى النجاح تقليدا أعمى ، بل كان يحلل الظروف ، ثم يتصرف على أساس هذا التحليل وكان يستخلص درسا من كل عملية يقوم بها ، ومن مجموع هذه الدروس — وكل معركة أو اشتباك درس قائم بذاته وليست مجرد نصر أو هزيمة — بنى فنه الحربى .

وكان يتغلب على خوفه بسرعة ، ويستعيد أعصابه ، وكانت الميزة الظاهرة فيه أنه يحلل مخاوفه ، فالخوف سيطر عليه مرة لبضع ثوان ، ولكنه سيطر بعد ذلك على الخوف ، وقد أفادته هذه اللحظة مبدأ مهما من مبادىء القيادة ، وهو أن القائد الذى يخاف أقل من عدوه ، يملك المبادأة ، وأنه إذا جعل عدوه يخاف أكثر منه ، فقد هزمه هزيمة معنوية ، وجرانت يستحق تقديرنا لأنه يتحلى بهذه الصفات لا لأنه من عباقرة الحرب .

وكانت عنايته بجنوده تفوق الوصف ، فقد كان معنيا على الدوام بمنع الكوارث أن تحل بالجيوش البعيدة عنه ، فما بالك بعنايته بالقوات التى تحت قيادته المباشرة .

كان جرانت يحارب من أجل قضية معينة ، ويهمه أن يكسب هذه القضية ، أكثر مما يهمه هزيمة من يعاديه ، انه كان يحارب قضية الجنوب ، لا شعب الجنوب ولا جنود الجنوب .

كان يعمل فى ثقة واطمئنان ، ثقة بعدالة القضية التى يحارب من أجلها ، واطمئنان إلى رجاله وإلى نفسه .

الفصل الثانى

روبرت إدوارد لى

كان لى ڤرجينيا أصيلا ، تردد قليلا عندما نشبت الحرب الأهلية إلى أى جانب ينحاز ؟؟ ثم قرر أخيراً أن يدافع عن وطنه ومسقط رأسه ، وأمجاد آبائه وأجداده ، رغم اقتناعه بأن الانفصال ثورة ، ولكنه كان لا يستسيغ اتحاداً يقوم على السيف والعداء .

كان جنديا من جنود القرون الخوالى ، فخوراً بنفسه معتزاً بها إلى أبعد الحدود ، لم تساوره فكرة الاستسلام حتى فى أحلك ساعاته ؛ بل استنكر ذلك عندما اقترحه الجنرال بندلتون قائلا «إن الأمر لم يصل إلى هذا الحد ، فان لدينا رجالا شجعاناً ، ولا نفكر فى إلقاء أسلحتنا ، إن العدو لا يحارب بروح عالية ، بينما رجالنا لا يزالون كذلك ، وقد يتبادر إلى ذهن القائد الشمالى أننا ضعفاء ، فيظننا نطلب الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، وهو عرض لن استمع إليه أبداً» .

كان ڤرجينيا أصيلا يحب أرض ڤرجينيا ومنازلها البيضاء وأهلها البسطاء ، كان يحارب فيها ومن أجلها ، فى كل فترة من نضاله ، لم يتخل

عنها أبداً ، ولم يتساهل إلا بعد أن انتهى النضال ، ولم يعد بد من الاندماج فى الوطن الأكبر ، وهو الولايات المتحدة .

كان من قادة العصور الاقطاعية ، تلك العصور التى كان دم الأقلية العريقة فيها هو الدافع للمكثرة ، وكان عاطفياً فواراً ، ولكنه يكتم عواطفه تحت ستار من الهدوء ، وكانت خلاصة شخصيته تلك العبارة التى كتبها أبوه عام ١٨١٧ « إن الرجل لا يتحتم عليه أن يكون فاضلا فى الحقيقة ، ولكن ينبغى عليه أن يبدو كذلك » وقد تعلم لى فى صغره إنكار الذات والتضحية والايثار .

يقول عنه الجنرال لونج « إنه لم يسع أبداً إلى الخطر ، ولكنه لم يتجنبه أيضاً » وكانت البطولة والتضحية أسس شخصيته ، ولم تكن القيادة هى الأساس ، وكان تدينه وتوكله على الله أمرين ظاهرين ، بل كانا من أظهر مميزاته الرئيسية .

وكان رغم منصبه بعيداً عن التأثير فى سياسة الحلف ، وكان يترك غيره يضع الخطة أما هو فيقوم بالتنفيذ ولعل ذلك يرجع إلى شدة احترام لى للرئيس ديفيز ، حتى أنه عندما سأله رأيه فى نقل العاصمة إلى الجنوب قال إن ذلك أمر سياسى ، وأن عليهم هم — رجال السياسة — أن يقرروا ما يتراءى لهم ، أما هو فيكفيه العناية بأمر الجيش . وذلك على

الرغم من أن الاجابة على هذا السؤال من صميم واجبه كقائد عام ، لأنه من صميم الاستراتيجية .

يقول نابليون « إن الجيش يمشى على معدته » ولكن لى لم يكن ضابط إمداد وتموين ، وكانت حالة قواته من الناحية الادارية تدعو إلى الرثاء ، فلا ملابس ولا مهمات ، ولا تعيينات كافية ، وقد ظلت مشكلة التموين مصدر متاعب منذ اليوم الأول للحرب حتى نهايتها ، وكانت الحاجة إلى التموين ذات تأثير مدمر على جيوش الجنوب ورغم أن موانى نيوبرن ، وبوفورت ، وسافانا ، وبرنزويك ، وپنساكولا ، ونيواورليانز ، كانت تحتلها قوات الحلف منذ مايو عام ١٨٦٢ ، إلا أن الجنوب لم يتخذ أى خطوة للسيطرة على التموين ، والاقتصاد فيه والتكديس فى مراكز استراتيجية .

والعجيب أن مواد التموين كانت كثيرة جداً ، ولكن الرئيس ديفيز لم يتخذ أى إجراء لتنظيم التموين ، كان يتساءل بأى حق يستولى على تموين الولايات ؟ نعم إن مسألة حقوق الولاية مسألة هامة فى نظره ، بل وفى نظر الجنوب كله ، فانها لم تكن الدافع إلى الحرب فحسب ، بل وكانت السبب الأول فى انهيار الحلف الجنوبى .

ولم يكن لى مثل جرانت من كبار الاستراتيجيين ، لسبب بسيط

واحد ، وهو رفضه أن يتأثر بالسياسة أو أن يؤثر فيها .

كان خليطاً من الحذر والاقدام ، وكان ستونوال جاكسون مكملا له ، كان ذراعه اليمنى ، وهو بلا جاكسون رجل اكتع بذراع واحدة ولقد كان جاكسون يتميز بالوحشية الضرورية فى الحروب ، ولـكن لى كان خلواً منها .

وكان عيبه الظاهر للعيان أنه لم يمارس القيادة بصورة فعالة أبداً . ولم يتول القيادة العامة للجنوبيين فعلا ، وقد كان يقوم بذلك الرئيس ديفز ، أما لى فقد كان أداة التنفيذ فحسب .

خاتمــــــة

قد تبدو المقارنة بين القادة فى كثير من الأحايين إضاعة للوقت بالاضافة إلى افتقارها إلى روح العدالة ، فقلما تتكافأ ظروف القائدين اللذين نقارن بينهما ، ونقصد بالتكافؤ هنا ، تساوى الظروف والبيئات الفكرية والمادية التى تحيط بالشخصين موضوع المقارنة .

أما المقارنة بالنسبة لجرانت ولى فأمر ممكن ، فهما رغم اختلافهما ، إلا أنهما من أمة واحدة ، وحاربا فى وقت واحد ، وحاربا حربا واحدة ، وبالرغم من هذه الظروف كلها ، فان كلا منهما يمثل فكرة تناقض الأخرى تماما ، فان الجنرال لى يمثل العصر الزراعى القديم ، بينما الجنرال جرانت يمثل العصر الصناعى الجديد ، كان الأول تعبيراً عن النشاط الروحى ، بينما الآخر يعبر عن النشاط المادى ، ونظراً لهذا الاختلاف فى المحيط الذهنى والروحى الذى يعمل فى ظله كلاهما ، كانت المقارنة بينهما أمراً ممتعاً مفيداً .

من النادر أن نجد رجالا يختلفون عن بعضهم كل الاختلاف ، كاختلاف جرانت عن لى ، ورغم ذلك فان كلا منهما ذو روح عالية وشجاعة ، وسيطرة على النفس فى وجه المخاطر ، كان جرانت لا يؤمن بالحظ

والمصادفة بينما لى يؤمن بالله وقدره بكل جوارحه وعلى هذا الأساس تستطيع أن تتبين كيفية حكمهما على الرجال وعلى أعمال الرجال ، بل ونظرتهما إلى العالم بوجه الاجمال ، ومن ثم تستطيع تبين أوجه الخلاف بينهما ، فأحدهما يرى أن الخير فى الجنس البشرى يجب أن ينتصر فى النهاية على الشر ، أما الآخر فيرد كل شىء إلى الأقدار ، وبذلك وجد كل منهما الأساس الروحى الذى ترتكز إليه قيادته ، فكان الاساس بالنسبة للجنرال لى أساساً محدودا ، أما بالنسبة لجرانت فكان متسعاً كل الاتساع ، كانت الفضيلة بالنسبة للأول تنعكس عليه من الخارج ، أما بالنسبة للثانى فكانت تنبعث من الداخل .

وكان لاختلاف أعمارهما أثر كبير ، فقد كان لى عندما بدأت الحرب فى الثالثة والخمسين ، بينما كان جرانت فى التاسعة والثلاثين ، وبذلك كان الأكبر سناً غير مستعد لتقبل أى تغييرات ، وبالتالى أصبحت آراؤه ثابتة غير قابلة للتغيير تقريباً ، وقد بدأ القائدان حربهما كهاويين ، ورغم أنهما أشتركا فى حرب المكسيك ، الا أن الحرب الأهلية كانت حربا مختلفة كل الاختلاف .

كانت أخطاء جرانت فى معارك بلمونت ودونلسون وشيلوه فاحشة ، ولكنه لم يكرر هذه الأخطاء فى قتاله فى معركة فرجينيا ، وكذلك أخطاء لى كانت فاحشة ، ولكنه لم يتعلم منها شيئا ، لقد كان جرانت فى

معركة فيكسبورج شيئا مختلفاً تمام الاختلاف عنه فى معركة بلمونت ولكن لى ظل فى معركة جيتسبورج كما كان فى تشيت ماونتين ، فقد ظل مفتقراً إلى النظام والتنسيق ، وتركيز السيطرة والسلطة ، وكان جرانت ينظر إلى الحرب ككل أكثر مما ينظر إليها لى .

كانت أوامر جرانت بسيطة مباشرة لا خطأ فيها ، أما أوامر لى فكانت غامضة وشفوية فى أغلب الأحيان ، فقد كانت أوامره الكتابية تتوقف حالما يبدأ الاشتباك .

يقول المؤرخون إن لى كان ذا قدرة كبيرة على فهم عدوه ، وتقدير الخطوات التى سيتخذها ، وهذا كان صحيحاً فى السنتين الأوليين من الحرب ، حينما كان يواجه ماك كليلان ، أما فى السنتين الأخيرتين فقد انعدمت هذه القدرة تماما ، فلو قدر ما قد يفعله بيرنسايد ، إذن لشن عليه هجوما مضادا فى فريدريكسبورج ، ولو فهم هوكر ، إذن لوزع قواته على نحو آخر ، أما جرانت فقد كان فى السنة الأخيرة لغزا استعصى فهمه على لى حتى أنه حاول القيام بغارة جديدة فى وادى فرجينيا .

أما جرانت فقد كان واثقا على الدوام مما سيفعله عدوه ، وكان فهمه للجنرالات فلويد وبيللو وبوكنر وبمبرتون وبراج يساوى فهم

لى لماك كليللان ، والفرق أن جرانت كان يبنى تقديراته على أسباب منطقية ، أما لى فيبنيها على محض تخيلات ، مما أدى به إلى حماقات انتيتام وجيتسبورج ، وكان جرانت يستخدم قدرته على التخيل لتقوية خطته لا لبنائها ، كان جرانت رجل تقدير وتفكير ومنطق ، بينما لى رجل اندفاع .

التكتيكات القديمة والحديثة

بدأت الحرب بين مزارعين نصف مسلحين ، وجنود نصف مدربين ، وكانت موارد الشمال كبيرة منذ البداية بينما الجنوب يفتقر إلى الموارد ، وبالتبعية لو كانت البندقية — وهى السلاح الرئيسى فى هذه الحرب ـ سلاحا هجوميا ، إذن لانهار الجنوب فى فترة وجيزة ، ولكن الأمر كان على العكس ، ومن هنا كانت التكتيكات البسيطة ضد الجندى الشمالى ، لأن التكتيكات الكبرى كانت تحتاج إلى الهجوم وبدون الهجوم لايمكن إخضاع الجنوب ، وهى نفس الحالة التى واجهت الفرنسيين فى حرب شبه الجزيرة الأسبانية ، وواجهت نابليون فى روسيا ، وواجهت الأنجليز فى حرب البوير عام ١٨٩٩ — ١٩٠٢ .

وكان على جندى الشمال أن يحارب فى أرض معادية ، وأن يبذل كل جهده لوقاية نفسه ، من العصابات غير النظامية التى يحتمل أن

تقابله فى كل مكان ومن أى اتجاه ، وتظهر أهمية هذه المسألة إذا وجدنا أن كل المعارك التى انتصر فيها لى كانت فى بلده ، وأنه لم يكسب معركة واحدة فى أرض عدوه .

لقد كانت الرصاصة هى التى خلقت الخنادق وحفر السلاح وقضت على السونكى ، وجعلت من السيف شيئا مهملا ، وطردت المدافع والفرسان بعيدا ، ولقد ظلت سيدة الميدان طوال أعوام ١٨٦١ — ١٨٦٥ كما كان رصاص مدافع الماكينة سيد الميدان طوال حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ .

القيادة والاستراتيجية العليا

الاستراتيجية العليا هى ربط القوات المحاربة بالموارد فى السلم ، وهى التى تقرر الغرض السياسى من الحرب ، وذلك واجب يقع فى الدول الديمقراطية على عاتق رئيس الحكومة ورئيس أركان الحرب ، وبدون هذا الربط لن يكون هناك محور تدور عليه العمليات ولا يستدعى هذا أن يلم القائد العام بالسياسة القومية فحسب ، ولكن ينبغى أن يكون قادرا على اقتراح ما يراه مناسبا تبعا للتطورات التى تجد خلال الحرب ، فان خططه تبنى على أساس هذه السياسة وتعدل تبعا لنجاح الخطط أو فشلها ، وقد أهمل ذلك المبدأ شر إهمال ، سواء فى الجنوب

أو الشمال ، وكل ما كان هناك هو قوة ضرورية فى ناحية ، ونشاط مثالى فى ناحية ، يتجه أحدهما نحو النصر ، بينما الآخر يتجه نحو المقاومة .

وللحرب ميادين ثلاثة ، ميدان اقتصادى ، وميدان سياسى ، وميدان استراتيجى ، ففى الميدان الأول لم يستطع الشمال أن يوجد القوة البحرية اللازمة ، لحصار الجنوب ، ولو أنه فعل ذلك لانهارت المقاومة فى وقت قصير ، فالواقع أنه كان من المستحيل تقريبا أن ينظم الجنوبيون جيشاً للميدان بدون معاونة أوربا .

أما الميدان الثانى ، فكان يتأرجح بين الميدانين الأول والثالث لأنه سرعان ما تحول إلى صراع بين العاصمتين ، وقد حدث ذلك لأن لنكولن وديفيز كليهما كانا لا يفهمان الاستراتيجية على الاطلاق ، وقد ترتب على ذلك أن الحصار لم يبلغ نهايته ، وترتب على ذلك أيضا أن السنوات الثلاثة الأولى قد انفقت فى معارك مخربة فى الميدان السياسى دون النظر إلى الميدان الاستراتيجى .

أما فى الميدان الاستراتيجى فقد كان لى شبه عاجز عن إدراك الاستراتيجية العليا ، ولذلك لم يكن ذا تأثير على الرئيس ديفيز ولا على الخطط العامة للحرب ، كانت تسيطر عليه فكرة حماية فرجينيا وكانت أهمية عاصمة الشمال واشنجطون ذات تأثير سحرى عليه ، وكان مبدؤه

الأعلى والوحيد فى الاستراتيجية هو تهديدواشنجطون ، وقد تبدو هذه الاستراتيجية مقبولة إذا كان جيشه منظماً من الناحية الادارية على هذا الأساس أو كانت لديه مقومات الحصار متوفرة ، أما جرانت فقد كان على النقيض من ذلك تماما ، فرغم أنه لم يتول القيادة العامة إلا عام ١٨٦٤ إلا أن معاركه فى الغرب أظهرت أصالة تقديره للاستراتيجية العليا ، ولم تكن لدى جرانت الفرصة ليكون قريباً من حكومته ينصحها كما فعل لى لأن الادمان على الشراب قد حطمه بعد الحرب المكسيكية ، وللاستدلال على تطور فكرته الاستراتيجية يمكن سرد بعض الملابسات ، فقد كان فى القاهرة عام ١٨٦١ وقد قدر فى الحال أهميـــــة پادوكا الاستراتيجية ، وبعد الاستيلاء على دونلسون أدرك أهمية الميسيسبى مما أدى إلى معركة ڤيكسبورج ، التى تمت فيها سيطرته على النهر ، وبعد استيلائه على ڤيكسبورج اقترح احتلال موبيل فلماذا اقترح ذلك ؟

ليرتكز عليها فى إدارة عملياته ضد مؤخرة براج فى شطانوجا ، لأنه قد أدرك تمام الادراك أنه إذا كانت شطانوجا الباب الخلفى لڤرجينيا ، فإن موبيل تعتبر الباب الجانبى لجورجيا ، وأنها إذا أصبحت فى أيدى الشماليين ، فانها تهدد مؤخرة الجنوبيين فى شطانوجا ، وأن أية قوة شمالية تتقدم منها جنوبا تكون مؤخرتها وجانبها الأيمن محميين .

لقد كانت فكرته أن يعمل ضد مواصلات لى ، فاذا تم له قطعها

فانه يستطيع استخدامها للعمل ضد مؤخرة لي .

من ذلك يتبين أن نظرة جرانت كانت عامة شاملة لمسرح الحرب بأكمله ، وكانت الفكرة التي تقوده واحدة وهي بالذات القضاء على القوة الأساسية للعدو ، أما لي فكانت نظرته محلية ، وقد ركزها على ركن بسيط من أركان مسرح الحرب ، وكانت الفكرة التي تقوده هي إزعاج الحكومة الشمالية بجعل السياسيين في حالة توتر عصبي بالنسبة لأمن واشنجطون التي لم تتوفر له القدرة على حصارها في أي فترة من فترات الحرب ، وإلا اضطر لترك ريتشموند خالية ورغم أنه كان لايجد أي متعة في السياسة إلا أن غرضه كان سياسياً بحتاً ، لأن نظرته لم تكن استراتيجية ، نعم كان يفهم استراتيجية فرجينيا جيداً ، فقد كان يعرف كيف يستخدم مواصلاتها ، أما استراتيجية مسرح الحرب بأكمله فقد ظلت كتابا مغلقاً بالنسبة إليه ، وبالرغم من قدرته وبطولته والمجهودات الجريئة التي قام بها جيشه إلا أنه ظل حتى النهاية محصوراً في نطاق ضيق ، وخسر قضيته لأنه كان يفكر ويعمل في ركن واحد ، غير ملق بالا إلى البقية ، غير واجد أي متعة في سياسة الحرب أو ناحيتها الاقتصادية .

القيادة والتكتيكات الكبرى

بينما الاستراتيجية الكبرى هي الربط بين العمليات الحربية

وسياسة الحكومة وموارد الدولة ، نجد أن التكتيكات الكبرى هى التنظيم وتوزيع القوات المقاتلة لتحقيق الخطة أو الفكرة الاستراتيجية العليا ، والغرض الاستراتيجى الرئيسى هو تحطيم سياسة العدو ، فبيما نجد المدلول السياسى لذلك هو تحطيم إرادة الشعب ، نجد أن المدلول التكتيكى هو تحطيم عزيمة القائد المعادى .

وكما سبق أن أوضحنا فى أسباب الحرب نجد أن الاستراتيجية العليا للشمال كانت اتخاذ خطة الهجوم ، أما الجنوب فكان مضطرا لاتخاذ خطة الدفاع ، فكان على أحد الجانبين أن يضغط ، وعلى الجانب الآخر أن يقاوم الضغط ، ولقد كان الطرفان عند ما نشبت الحرب غير مستعدين على الاطلاق للقيام بدورهما ، ولذلك فقد وقع الطرفان فى الخطأ المألوف وهو الهجوم قبل أن يكونوا على استعداد معنوى واقتصادى للهجوم .

يقول كلاوزيفيتز « هناك أغراض رئيسية ثلاثة للحرب :

١ — هزيمة قوات العدو المسلحة وإبادتها .

٢ — امتلاك المواد الأولية والموارد الأخرى التى يحتاج إليها العدو وحرمانه منها .

٣ — اكتساب تأييد الرأى العام وعطفه .

ويكتسب الغرض الأول بتحطيم خطة العدو ، أما الثانى فبالقضاء

على قوته الاقتصادية ، والغرض الثالث يكتسب باحراز انتصارات تخفض روحه المعنوية ، وباحتلال عاصمته مما يؤدى إلى القضاء على الحكومة ، وبدل دلالة واضحة على فشل قضيته ، ومن ذلك يتبين أن التكتيكات الكبرى إنما تتحقق بافساد التنظيم وتهبيط الروح المعنوية ، أكثر من من اعتمادها على التدمير الذى يعتبر الغرض من التكتيكات الصغرى .

ولقد روعى الغرضان الأول والثالث منذ بداية الحرب ، أما الغرض الثانى وهو الاقتصادى فلم يراع تماما ، فقبل أن يزحف الجنوبيون على واشنجطون ، كما أرادوا أن يفعلوا عقب معركة مافاساس الأولى ، وقبل أن يزحف الشماليون على ريتشموند كما حاولوا فى السنة التالية ، كان ينبغى على الجنوب أن يبذل مجهودا أكبر فى تحصين موانيه التى تتصل بالداخل بالسكك الحديدية ، وكان على الشمال أن يبذل مجهودا أكبر ، ليس فى حصار هذه الموانى فحسب ، بل فى احتلالها ، بتجميع قوته البحرية ضد كل ميناء على حدة ، فيستولى عليها على التوالى مبتدئا بولمنجتون .

والعجيب أن لي كان مهتما بذلك الأمر حتى استدعى إلى ريتشموند ، فلم يصر على هذه التحصينات ، أما جرانت فلم تكن له السيطرة على الاستراتيجية العليا حتى ربيع ١٨٦٤ ، وقد ظل حتى ذلك الحين يلتهم أراضى الجنوب قطعة قطعة حارما القوات المعادية من

موارد هذه المناطق ، وقد أدرك كما أسلفنا قيمة الميسيسبي ثم قيمة موبيل والأمر الذى نعجب له هو عدم إصراره على احتلال ولمنجتون قبل اشتباكه فى معركة البرية ، لأن ولمنجتون كانت قاعدة تموين لي ، وكانت رأس السكة الحديد بالنسبة لحلف الجنوب .

وهكذا يبدو أن جرانت كقائد عام لم يدرك الاتصال الوثيق بين القوتين البرية والبحرية ، لقد أدرك حقا أن المشكلة التكتيكية الكبرى هى تقليل مساحة مسرح الحرب إلى أقصى ما يمكن ، بينما فشل لي فى إدراك أن المشكلة التكتيكية الكبرى بالنسبة للجنوب كانت على النقيض تماما ، وبالتبعية كان ينبغى عليه أن يبعد ميدان القتال لأقصى حد ، ولا يتحقق ذلك بشن هجمات فى أرض عدوه ، ولكن بجذب العدو إلى تلك المناطق من أرضه التى لا تناسبه ، والتى يمكن فيها شن حرب العصابات ، ثم استدراجه إلى موقع كاذب ، وإجباره على الهجوم فى ظروف غير ملائمة ، وقد أخفق لى فى إدراك أن منطقة التنيسى كانت أنسب لذلك من منطقة ريتشموند .

ومن دراسة التكتيكات الكبرى نجد أن كلا من القائدين أبدع فى القيام بهجوم خلفى ، وهو الهجوم الحاسم الحقيقى ، ويحار الإنسان أيهما أجدر بالاحترام والتقدير ، جرانت فى فيكسبورج وآبوماتوكس ، أم لي عندما حرك جاكسون خلال ماناساس الثانية أو شانسلورزفيل .

والذى يدرس الحروب يجد أن الهجوم بالمواجهة قلما ينجح ، وان الهجوم على المؤخرة أو الأجناب قلما يفشل ، فقد اضطر جرانت إلى التراجع فى بلمونت أثر هجوم على مؤخرته ، بينما انتصر لتهديده جنب العدو فى معركة دونلسون ، وفى لوكا وكورينث كانت مهاجمة المؤخرة سبباً فى إجبار العدو على الانسحاب منهما ، وفى فيكسبورج كانت المناورات حول المؤخرة والهجوم الخلفى السبب فى استيلائه عليها ، وفى شطانوجا كان هجوم هوكر من الخلف هو الذى أنهى المعركة ، وفى عام ١٨٦٤ كانت مناورة شيرمان على مؤخرة الجنوبيين هى السبب فى انهيارهم ، وفى سنة ١٨٦٥ كانت محاصرة مؤخرة لى هى التى أنهت الحرب .

وكان الأمر مشابها بالنسبة للجنرال لى ، فبينما فشل كل هجوم شنه بالمواجهة ، نجد أن نجاح أغلب هجماته الخلفية والجانبية كان مدهشاً ، فقد كان الهجوم على مؤخرة ماك كليلان هو السبب فى ارتداده عن ريتشموند ، وهو السبب فى رد بوب عن الراپاهانوك ، وعلى البوتوماك وكان هجومه من الجنب السبب فى تدمير هوكر عند شانسلورزڤيل .

وليس معنى ذلك أن نتجنب الهجوم بالمواجهة على الاطلاق ، ولكن ينبغى أن يستخدم الهجوم بالمواجهة للتثبيت ، إذ ليس له أثر حاسم فى ذاته ، وإنما يستخدم كنقطة ارتكاز لحركات التطويق والالتفاف .

القيادة واستراتيجية الميدان

استراتيجية الميدان هى التكتيكات الكبرى فى صورة تحركات وطالما أن هذه التحركات يؤيدها التموين ، فان التموين لايعتبر أساس الاستراتيجية فحسب ، ولكنه نهايتها المحتومة ، لأن ضمان التموين ، أو التهديد أو القطع ، هى فى ذاتها أسس النصر أو الهزيمة ولهذا كانت استراتيجية الميدان تنسج على المواصلات بشتى أنواعها ، لاعلى الطرق والأنهار والسكك الحديدية وحدها ، اللازمة لتحرك القوات ، بل لتحرك التموين أيضا ، لأن الجيش بلا تموين ، آلة بلا وقود ، وقد يستمر يعمل لفترة قصيرة على أسس غير ثابتة ، ولكنها فترة محدودة على كل حال .

وحماية المواصلات أو تهديدها هى الوسيلة الرئيسية لتطبيق الاستراتيجية ، وليس الغرض منها دائما الاشتباك فى معركة ، ولكنها قد تهدف إلى إفساد خطة العدو ، إما بالمناورة أو بالدخول فى معركة ، وعلى وجه العموم فان الجانب الضعيف يلجأ عادة إلى هجوم استراتيجى وتكتيكات دفاعية ، بينما يسلك الجانب الأقوى الطريق العكسى تماما وفى كلا الحالين فان التموين يبقى أساسا للاستراتيجية .

وفى هذا المقام نجد الفارق الأكبر بين استراتيجية جرانت ولى كان فى أن الأول بعد انتصاره فى دونلسون لم يفشل قط فى بناء

استراتيجيته على أساس التموين ، بينما الثانى قد بنى استراتيجيته على البحث عن التموين (كما لاحظنا فى معارك انتيتام وجيتسبورج) ، وبالتبعية كان يعانى باستمرار من نقص التموين وتوزيع القوات ، ولذلك فان انتظام الشئون الادارية عند الأول قد رسخ استراتيجيته ، بينما فساد تلك الشئون عند الثانى قد أخل باستراتيجيته .

والأمر الثانى هو التحركات ، فان استراتيجية الميدان مرتبطة أشد الارتباط بالتحركات المحمية ، ولا أقصد بذلك الوقاية التكتيكية ولكن الوقاية والأمن الناتجين من التوزيع الصحيح للقوات ، مثل تأثير جاكسون فى الوادى خلال معركة كليللان فى شبه الجزيرة ، وزحف جيش بتلر على ريتشموند خلال معركة جرانت فى البرية ، وفى كلا المعركتين كان لهذا الانفصال تأثير مربك على القوة الأساسية للعدو ، وعلى الرغم من نجاح جاكسون ، وفشل بتلر ، تبعاً لتصرفاته ، فهذه الحالات وأشباهها تظهر أن جرانت ولى كانا يفهمان الأهمية الاستراتيجية للارباك تمام الفهم ، وذلك لأنهما كانا يدركان تمام الادراك أن النقطة الحاسمة هى مؤخرة جيش العدو .

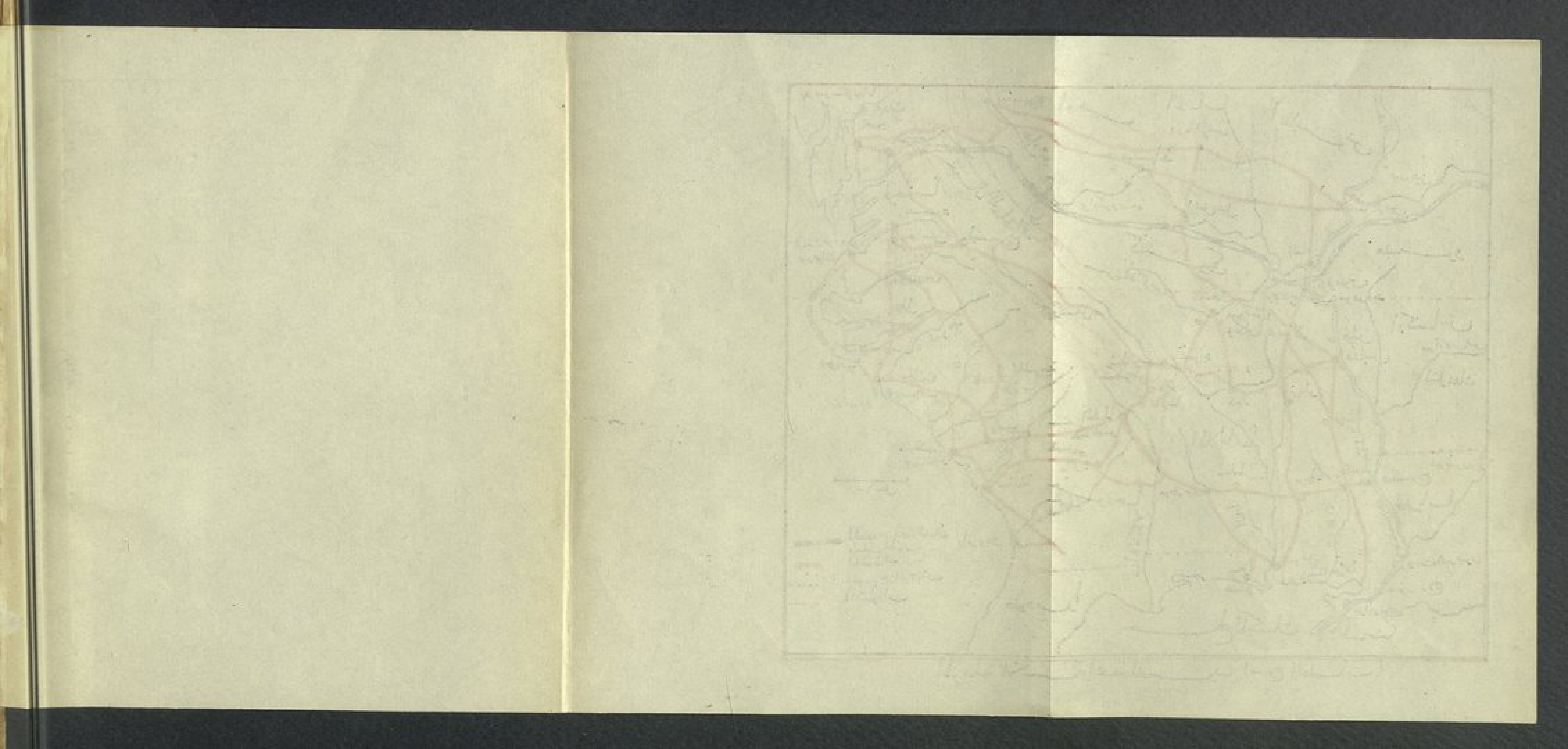
فاذا انتقلنا إلى المفاجأة وهى عامل مهم فى الاستراتيجية نجد أن جرانت قد أشعر عدوه بأنه آمن كما فعل فى فيكسبورج وشطانوجا ، كما أفاد لى من افتقار عدوه للسلامة كما حدث فى وصلة ماناساس وشانسلورزفيل

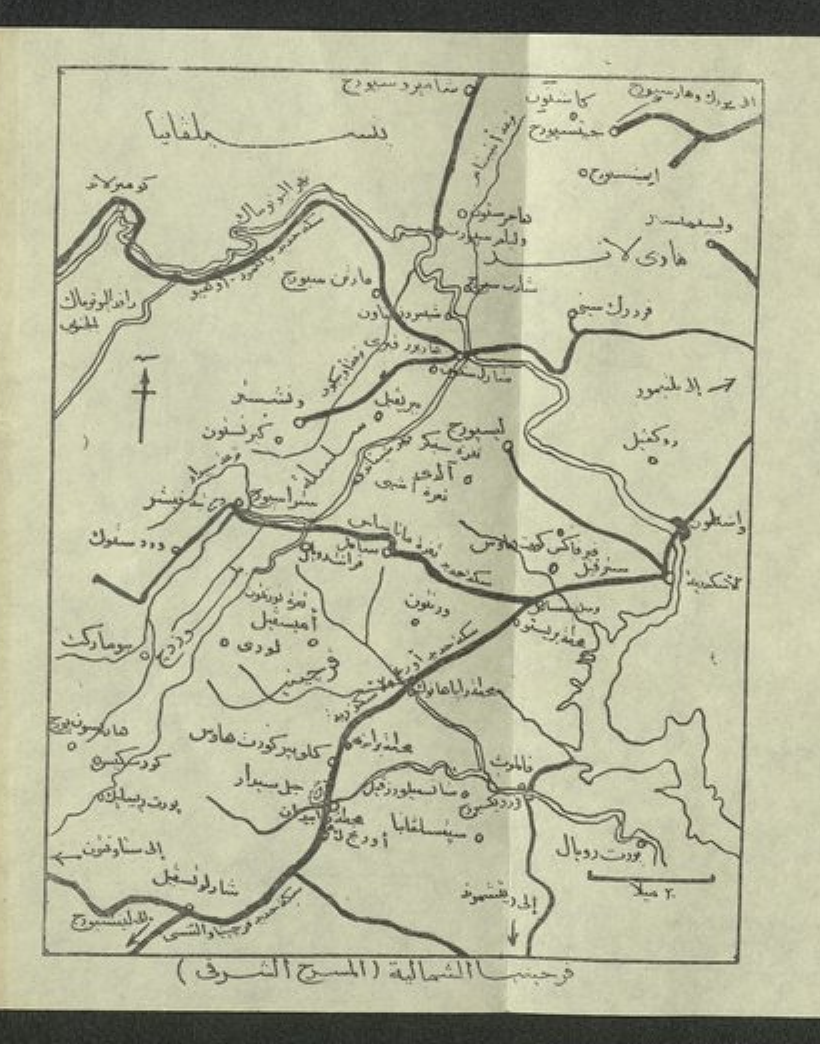
ولذلك كان أحدهما دبلوماسيا استراتيجيا ، بينما كان الآخر استراتيجيا انتهازياً ، فبينما نجد جرانت يحضر تحضيرا طويلا لمفاجأته ، كما حدث فى تطويق فيكسبورج ، من جراند جالف ، وعبور نهر جيمس فى يونيو ١٨٦٤، نجد لى يعمل بوحى اللحظة ، ولا يصل بأى مناورة من مناوراته الكهربائية إلى غايته أبدا ، لأنه يعمل باندفاع ، فلا وقت لديه للاستعداد للافادة منها لأقصى مايمكن ، فقد انتهت معركة الأيام السبعة بكارثة مالڤرن هيل ، وانتهت معركة ماناساس الثانية بمأساة أنتييتام ، وأدت معركة شانسلورزڤيل الى معركة جيتسبورج ولم يكن لى أقل من جرانت فى وضع الخطة للمعركة ، ولكن عند التنفيذ كان الفرق يظهر واضحا بينهما .

يقول كلاوزيڤتز «لايمكن اظهار القوة الكامنة فى الجنود فى الحرب إلى أقصى حد إلا إذا توفرت لهم روح موجهة عظيمة» وكان جرانت يملك مثل هذه الروح ، أما بالنسبة للجنرال لى فكانت هذه الروح معنوية بحتة ، فقد كان أحدهما يعتمد على الاستراتيجية بينما يعتمد الآخر على النبل وعراقة الأصل ، كان جرانت العقل المفكر لجيشه ، بينما لى روحه الملتهبة .

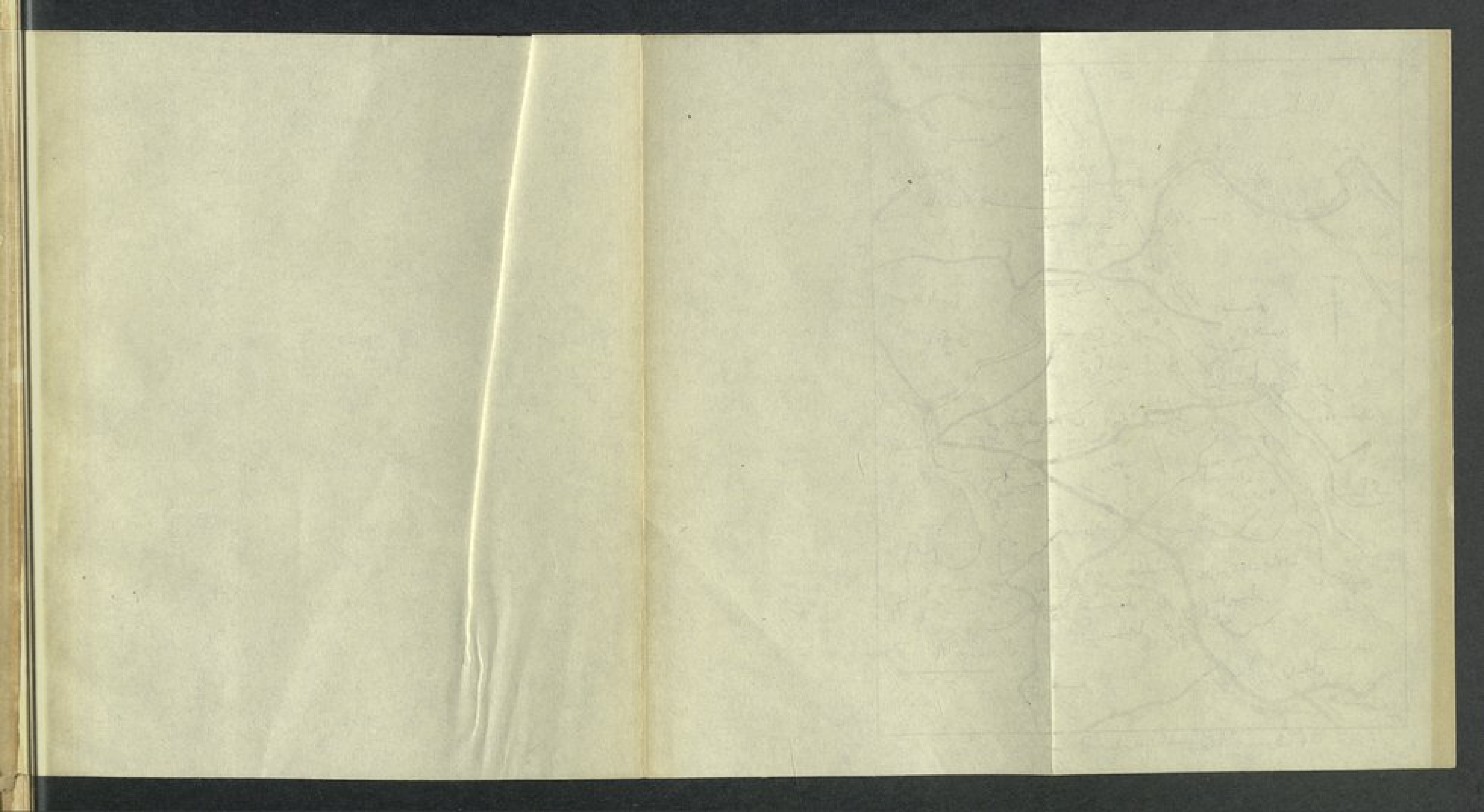


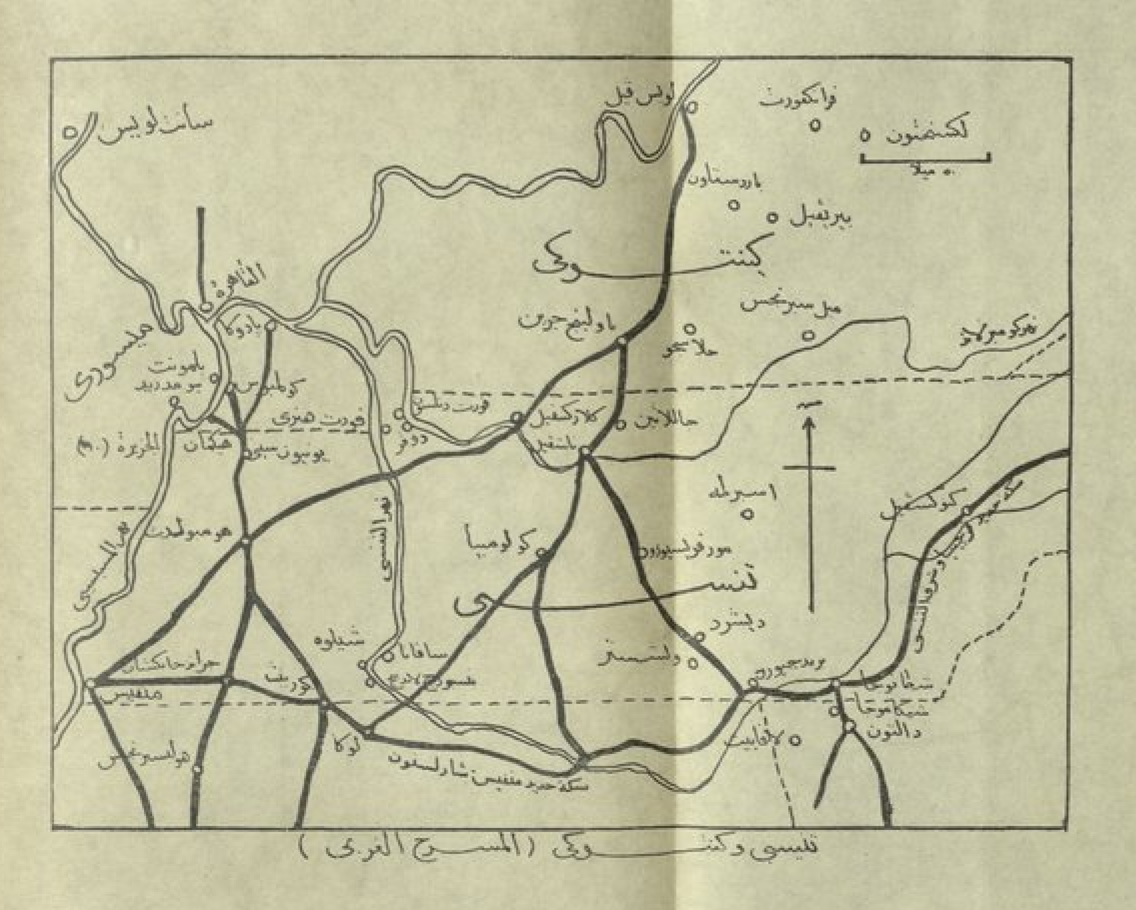
الخريطة الاستراتيجية للجنوب (مسرح العمليات)



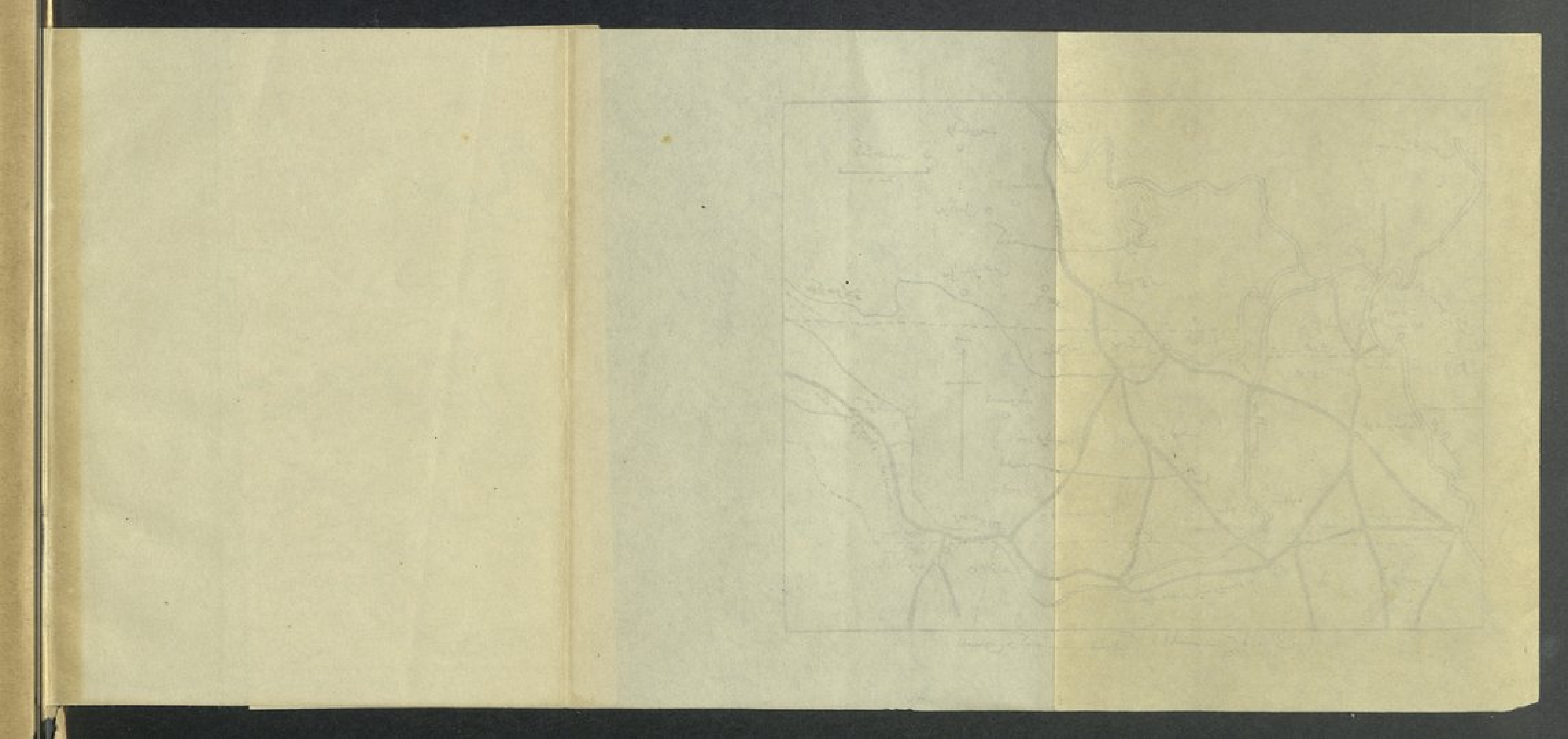


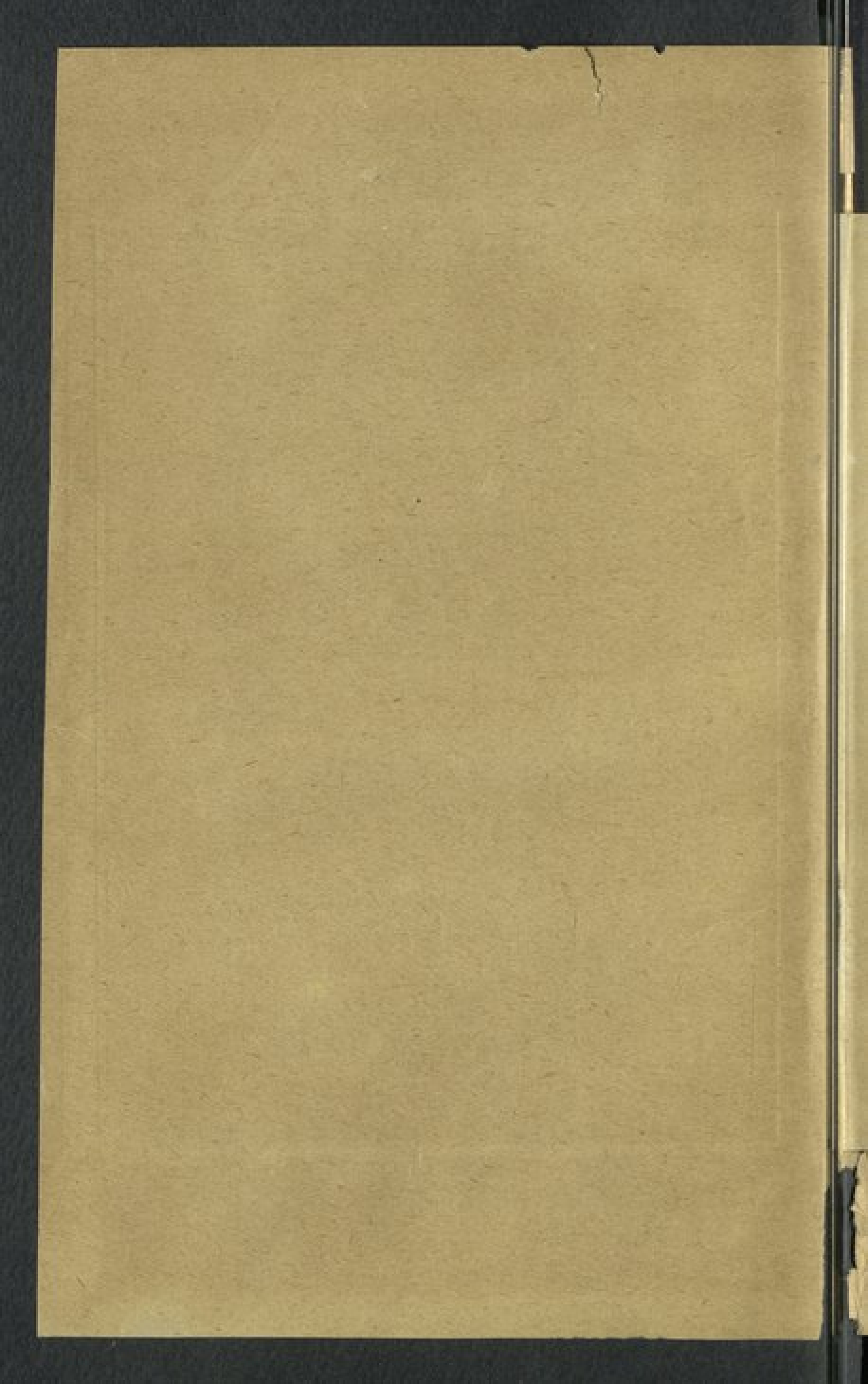
فرجينيا الشمالية (المسرح الشرقي)

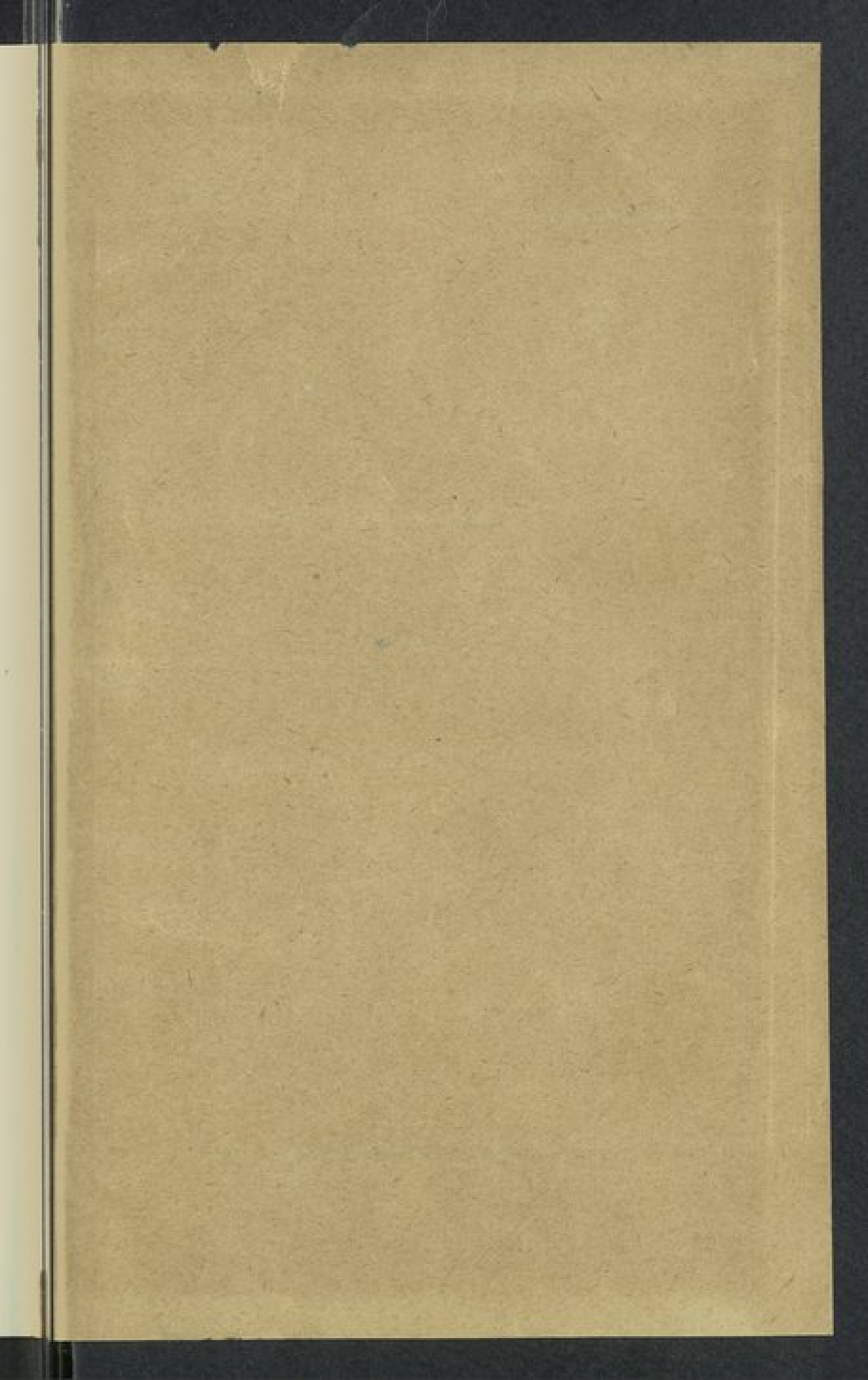


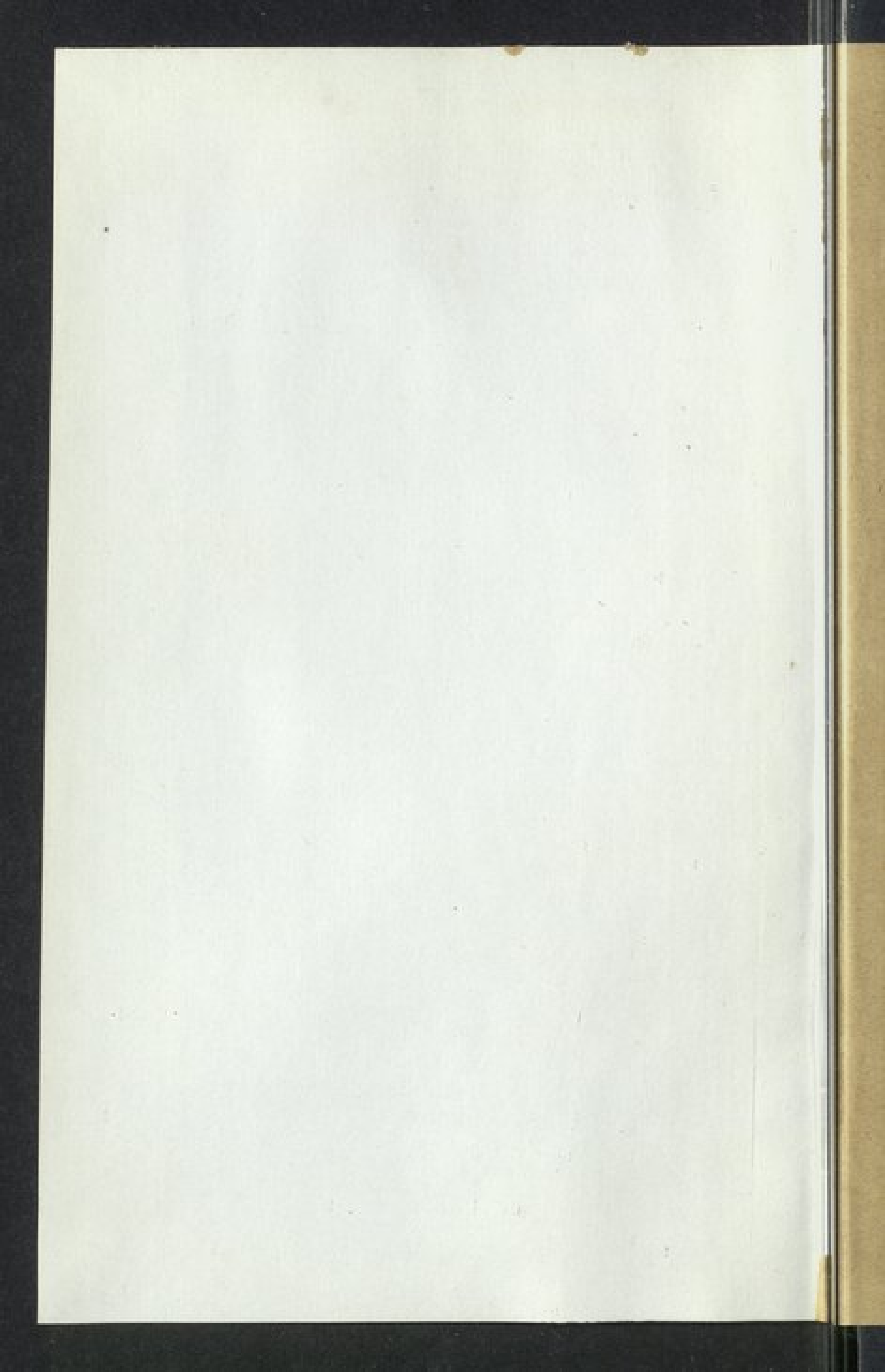


تنيسي وكنتوكي (المسرح الغربي)









DATE DUE



